منسيين لستم، يا بني رُسْتُم ! (1)

مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على خاتم المرسلين

صاحب المعالي الدكتور آمادو كريم غاي، أمين عام مؤتمر الدول الإسلامية،
السيد محمود منصور، ممثل جامعة الدول العربية،
السيد سالم عزام، أمين عام المجلس الإسلامي الأوروبي،
حضرات الأساتذة الأفاضل،
حضرات السادة والسيدات،
إخوتي الطلبة والطالبات،

ابتدئ هذه المرة أيضاً بما أنهينا به في السنة الماضية، وافتتح الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي في وَرَجْلاَنَ بخاتمة الملتقى العاشر في عنابة، وأقول:
مرحباً بكم وبكن جميعاً في مدينة البئر والحاسي،

(1) كلمة افتتاح الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي بورجلان (ورقلة) . (17 – 26 صفر 1397/06 – 15 فبراير 1977 م) .

التى تذكّر بماضيها الغافل والناسى، معين النفط والغاز، التى كانت فى ماضى القارة الصلة والبوغاز، فى منبع العلم والطاقة، اللذين يزيلان عن الشعب الجهل والفاقة، فى دار الوَرجلانى، الذى نافس أمثال سحنون، وبطوطة، والورتلانى، فى مدينة النور والدقلة، المجيدة الأثيلة، ورقلة!

حضرات السادة

لنا فى جدول أعمالنا نقاط أربع:

أيام أن أفلح أفلح، وكان الإمام إماما!

1) النقطة الأولى هى: «مساهمة الرستميين فى حضارة الإسلام وفكره»، ونحن فى عاصمتهم الثانية وَرجْلان - سدراتة، التى وصل سلطانها الدنيوى حيناً من الدهر إلى ونيبا غرباً، وهى المدينة الثانية فى غانا، وإلى قرطبة شمالاً، وامتد إشعاعها الروحى برهة إلى بحر عمان شرقاً، وزنجبار جنوباً، وأعطت للفكر الإسلامى أمثال الوَرجْلانى، بعد أن اضطرت الدولة الرستمية الى ترك تيهرت[1] حيث كان عبد الرحمن قد نشر الرحمة، وأين أفلح أفلح، وكان الإمام إماماً!

لكن للدول أيام تداولها بينها، ونريد، كعادتنا فى كل ملتقياتنا، أن نلقى نظرة على ما لكل منها وما عليها، كيف

1) يقال إن معناها بالأمازيغية الزناتية: "اللبوة".



السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية، يلقى كلمة الافتتاح .
ويرى من اليسار الى اليمين السادة :
سالم عزام ، أمين عام المؤتمر الاسلامي الاوروبي (لندن) ، عبد الوهاب القدماني ، والي ورجلان ، (ورقلة) جلول شاشوه ، رئيس المجلس البلدي الشعبي لمدينة ورجلان ، الدكتور ماما دو كريم غاي ، أمين عام مؤتمر الدول الاسلامية (جدة) .

نشأت وازدهرت، ثم ماتت واندثرت، ولكل شئ إذا ما تم نقصان، وتلك سنة الله فيمن سبق!

كفى مؤامرات ومناورات فى إفريقيا!

2) والنقطة الثانية هى: «الإسلام فى افريقيا اليوم» وفعلاً كيف ونحن فى الجنوب لا نستعرض وضع الإسلام اليوم فى بلاد السودان، كما كان يسميها ابن خلدون، بل وافريقيا كلها، وهى المتعرضة لما هى متعرضة له من مناورات ومؤامرات، ومن محاولات تسرب ونفاذ رغبة النفوذ، أولبقاء وتشبث، ومساعى إحاطة وتطويق، وهيمنة واستحواذ؟

«الأولى فى الدولة ولكن الثانية فى الدار»!

3) والنقطة الثالثة: «المرأة بعد عام المرأة...» فأمام السيل العرم من الكتب والمجلات، والأفلام والمحاضرات، والندوات والمؤتمرات، المخصصة للمرأة فى أنحاء العالم منذ «عام المرأة»، واستجابة لرغبة كانت كثيرات من الطالبات اللاتى شاركن فى ملتقياتنا السابقة عبرن عنها فى أن يطرق موضوع المرأة فى أحد هذه الملتقيات، واعتقاداً منا أنه موضوع من مواضيع الساعة لما نشاهده فى العالم من أمواج وتموجات، ومن ميول واتجاهات، وأن المرأة - هذا الموضوع الخالد! - هى هم الدنيا وشغلها الشاغل على مر الأيام وتتابع الحضارات، وأنها اليوم، أكثر من أى وقت مضى، فضلاً عن كونها عمدة الأسرة ورأس المجتمع، أصبحت شرط الإنقاذ للحضارة والإنسان، أو إشارة الهبوط،

والاضمحلال، والذوبان، أقول إننا أمام هذا كله رأينا أن نطرق موضوع المرأة فى هذا الملتقى، ودعونا له خاصة كثيرا من السيدات البارزات من الإتجاهين، المناصر والمعارض لما سمى بحركة تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها، لإجراء حوار صريح خصب عله يساعدنا فى تجنب الشطط فى هذا الإتجاه أو ذاك!

ورمزا لإعطاء هذه النقطة فى هذا المدخل ما يقابل مَنَابهَا فى جدول الأعمال، حيث أخذت وحدها إحدى وعشرين محاضرة من بين تسع وثلاثين، بمحض اختيار أغلب السادة والسيدات أصحابها وصواحبها، سأسهب أنا أيضا بعض الشئ فى طرقها فى هذه الكلمة التى كنت أجعلها عادة على غاية الإيجاز.

هل المرأة اليوم هى تلك الضعيفة المستضعَفة، المهضومة المظلومة، المسكينة المستكينة، الخانعة، الخاضعة، الضائعة، التى لم تأخذ بعدُ حقوقهَا، ولم تحتلَّ مكانتهَا، كما تقول سيمون دى بوفوار وأخريات كثيرات، بل وآخرون كثيرون أيضا، ممن يدعونها إلى الثورة والتمرد، وتحطيم "القيود"، وتجاوز السدود، واختراق الحدود، ورفع البنود، للإلقاء بكل شئ آخرَ غيرِ مطلقِ حريتها عرض الحائط رغم الجدات

والجدود، وعدم الاستغناء في ذلك عن العويل ولطم الخدود، والإجابة عن كل تنبيه أو نصح بأغرب الحجج والردود؟

أم هي بالعكس من هذا كله تلك المتمردة المستبدة، صاحبة الحيل والأحابيل القديمة والمستجدة، التي هي إلى الانقضاض والعدوان الحريئة المستعدة، صاحبة الطاغوت والجبروت، زيادة على سحر هاروت وماروت، كما يقول في الرد عليهن وعليهم كثيرون وكثيرات، كالكاتبة والطبيبة الألمانية الشهيرة إيستر فيلار Esther Vilar في عدد من كتبها، وخاصة منها الأخير الذي سيحتفل بصدوره بعد غد الثلاثاء في ميونيخ، والذي تدعو فيه الرجل إلى الإقلاع عن خضوعه وخنوعه، والتنبه إلى استبلاهه من طرف المرأة واستذلاله، وتحثه على الإفاقة ورفع رأسه، وعدم حفر رمسه بنفسه، وإلى استعادة رجولته وهمته، والسمو بشرفه إلى قمته، وهو ما يلخصه العنوان الرئيسي للكتاب: "نهاية الترويض"[1] ويوضحه عنوانه الثانوي: "نموذج لرجولة جديدة"؟[2]

أم أن المرأة اليوم ليست هذه ولا تلك، وإنما هي تلك المتمتعة بحقوقها، المحترمة لواجباتها، التي لا تنسى

---

(1) "Das Ende der Dressur"

(2) " Modell fuer eine neue Maennlichkeit"

حتى مع عملها رسالتها ؟ هل هناك كثيرات من نساء اليوم "العصريات" ممن يتبنين قاعدة سلوك ملكة الدانمارك الشابة التي صرحت غداة زواجها أنها " وإن كانت الأولى في الدولة إلا أنها الثانية في البيت "؟(1)

إن المشكل أمامكم للنقاش.

وعلى كل ففيما يخص موقفنا في الجزائر بهذا الصدد، فإن الميثاق الوطني، إذ يعزز حقوق المرأة المشروعة، ويشجعها على المشاركة الفعالة في مختلف مجالات النشاط القومي، زيادة عن واجبها الأول في حفظ الأسرة وصنع الأجيال، يؤكد في الوقت نفسه كل التأكيد على ضرورة احترام ذاتيتنا وحصانتنا، ويندد بكل تقليد أعمى، وخاصة لكل ما يتنافى مع قيمنا وأخلاقنا، ويتعارض مع مكونات شخصيتنا، ويصطدم وعناصر إنيتنا وأصالتنا.

هل بطون الأرض نعمة أم نقمة ؟

4) النقطة الرابعة والأخيرة هي: " هل بطون الأرض نعمة أم نقمة؟ ".

وكنا قد وعدنا في السنة الماضية في عنابة بأن نتطرق لها لانعقاد ملتقانا بجوار آبار الطاقة وأجهزة استخراجها واستثمارها.

قد يبدو في هذا التساؤل نوع من المفارقة، والواقع

جريدة لوموند 19 ديسمبر 1976

أنه في غاية الوضوح، فيما يبدو لنا، وهو يتلخص في أن الثروات المعدنية، التي سميناها ببطون الأرض، أو بالكنوز إن شئتم، كالنفط، والغاز، والفوسفاط، وغيرها من المعادن، تتوقف في طبيعة آثارها على طريقة استعمالها، ككل شيء في الحياة، وتكمن فائدتها أو مضرتها فيما توجّه إليه نتائجها. هل استخرجت من الطاقة جميع الإمكانيات الكامنة فيها، أو على الأقل بعضها ؟

هذا الإستفهام ليس بالضرورة إنكاريا.

لقد استغربت أن أرى في إعلان نشرته شركة شيل المعروفة في الجريدة الألمانية فرانكفورتر الغماين[1] بتاريخ 05 أكتوبر 1976 عن عدد المشتقات التي تستخرج من النفط وحده ! إنها أكثر من عشرين صنفا من المنتوجات الصناعية والاصطناعية المختلفة، ومنها المواد الغذائية وماء الشرب، إذ أن الماء المالح المستخرج من البحار يرجع زلالا بفضل عنصر لا يوجد إلا في النفط !

هل استخرجت البلدان البترولية في العالم الثالث منتوجا واحدا من هذه المنتوجات العديدة من بحارها النفطية ؟ ثم هل استثمارها من طرف أبنائها لفائدة شعوبها المالكة لها، في استقلال تام عن أي نفوذ أجنبي، متساو مع استغلالها من طرف الغير، لصالحه

(1) Frankfurter Allgemeine Zeitung 05 Oktober 1976

ولطبقة مضيقة من الحاكمين وحواشيهم ؟ ألا يساعد هذا على زيادة بؤس جماهير الشعب، وفحش الإنحلال الخلقى الذى ينجر عن الترف والبذخ لدى سراة القوم، فضلا عن التهديد الدائم المعلق للسيادة الوطنية من طرف الدول المستغلة لها، والمسيطرة عليها ؟

ألا تتحكم تلك التبعية المطلقة فى اقتصاد البلاد، بخلقها طبيعة الاعتماد الكلى على ذلك الفتات الذى تتركه لها تلك الدول، والذى يجعلها فوق ذلك كله تتقاعس عن استثمار جميع الموارد الأخرى لها، كالزراعة التى سماها البعض بالذهب الأخضر، أو التجارة، أو الصناعة؟

عن هذا أو ذاك يتوقف إذن كونها نعمة أو نقمة !

ومن هنا تساءلنا عن بطون الأرض هل هى نعمة أم نقمة ؟ وهو مجرد تساؤل منا إذ يهمنا فى الدرجة الأولى على مستوى ما يسمى بالعالم الثالث كله فيما نظن، ولذا دعونا له بعض المختصين، وقد تخلف بعضهم مع الأسف بعد وعد والتزام، وعزف بعض السادة الآخرين من الحاضرين عن طرقه لتعقده المتمثل فى بساطته وبداهته، مما جعل عدد الذين طرقوه لا يتجاوز الخمسة، بينما موضوع المرأة أخذ حصة اللبؤة، ونكرر أنه بلغ واحدة وعشرين من تسع وثلاثين فى جملة جدول الأعمال !

حضرات السادة والسيدات،

هذه هي النقاط التي عرضناها عليكم للبحث، والتي نرجو أن نصل فيها من خلال المحاضرات، وخاصة المناقشات، إلى أضواء تلقي وضوحا عليها، وتوجه إلى زيادة تعميقها، والإنتهاء من ذلك إلى إيجاد أجوبة فاصلة لها، وحتى إذا لم نصل فيها إلى حلول، فنكون على الأقل قد ساهمنا في الإقتراب منها، والتعجيل بإدراكها.

مرة أخرى أرحب بضيوف الجزائر، وأتمنى لهم ولهن مقاما طيبا، ولأعمالنا جميعا مطلق النجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله



صاحب المعالى الدكتور مامادو كريم غاى ، أمين عام مؤتمر الدول الاسلامية ، يلقى كلمته فى جلسة الافتتاح

النقطة 1

ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري

الدكتور عمرو خليفة النامي

أستاذ الادب العربى والدراسات الاسلامية
كلية التربية ، جامعة الفاتح طرابلس ـ ليبيا
وأستاذ زائر بجامعة مبتشيجن
ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أيها السادة ، والاخوة والاخوات ،

احييكم تحية الاسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قبل الدخول فى موضوع هذه الخلاصة أود أن اتقدم أولا بالشكر للاخ الاستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم الذى تفضل فأتاح لى هذه الفرصة للمشاركة فى هذا الملتقى الحافل ، وكذلك فانى أود ان اشكر السادة الذين سهلوا على مهمة تحضير هذا الحديث بما فتحوه أمامى من أبواب بيوتهم ومكتباتهم وخزائنهم وما تكرموا به من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم وأخص

منهم بالذكر السادة الشيخ بكلي عبد الرحمن بن عمر ، والاستاذ الشيخ سليمان الحاج داود ، والشيخ الحاج محمد بن يوسف ببانو ، والاخ الاستاذ فخار حمو ، والسادة موسى بن الحاج يامى ، والاخ جهلان أحمد فقد هيأوا أمامى كل الاسباب للفراغ من كتابة هذه الخلاصة فى المهلة القصيرة التى حددها نظام الملتقى • فأنا مدين لهم ولكرمهم وحسن عونهم أحسن الله جزاءهم •

لقد اخترت هذا العنوان لهذا الحديث لانه الصق بمكان هذا اللقاء ، ولان ما قصدت اليه هو مساهمة وارجلان وما حولها فى الفكر الاسلامى كجزء امتد واتصل بعد غياب الدولة الرستمية من الوجود السياسى فى شمال افريقيا ، فكان الدور الذى لعبته وارجلان هو تجسيم وتعبير عن عمق التأثير الفكرى والحضارى للدولة الرستمية التى استمرت آثارها العلمية والفكرية قرونا متصلة بعد غيابها من الوجود السياسى تماما ، فبعثت وارجلان ذلك الدور فى صورة جديدة ، واعطته دفعة قوية حفظت له نصاعته وحيويته ، ومن وارجلان وحركتها انبثق العمران والحركة العلمية فى ديار بنى مصعب فنشأت قصور مزاب واستمرت بدورها فى الحفاظ على ذلك الاثر الحضارى العلمى الذى بدأته دولة بنى رستم من قبل وحافظت عليه ولفترة طويلة عاصمة الصحراء وجوهرتها « وارجلان » •

لقد بدأ المذهب الاباضى كغيره من المذاهب الاسلامية على هيئة حركة علمية تربوية تأسست فى البصرة جنوب العراق ، فكان علمها البارز التابعى الشهير أبو الشعثاء جابر بن زيد (متوفى سنة 93 هـ) ثم من بعده مسلم بن أبى كريمة أبو عبيدة الذى توفى على أيام الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور • وعلى أيام أبى عبيدة اتسعت هذه الحركة العلمية فى صورة دقيقة التنظيم على هيئة « مجالس » علمية تنعقد حول علماء معروفين يقصدها اصناف شتى من الناس بين طلبة متخصصين الى آخرين يطلبون الموعظة والهداية الى علماء مميزين يتدارسون شؤون الامة ويناقشون مسائل العلم وأمور الامة عموما (1) وقد كان عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية

(1) انظر حول هذه المجالس : الشماخى : السير •

خريج هذه المجالس التى أسسها الاباضية فى مراكز العمران بين القيروان والبصرة ، ومن تلاميذ أبى عبيدة مسلم المباشرين • ونقل التلاميذ نظـــام المجالس العلمية الى المغرب وانتظمت حلقاتها ما بين فزان وقابس وبين الجبل وتاهرت • وبعد ازدهـــار تاهرت واستتاب الامر فيها كان دورها العلمى من أبرز المظاهر الحضارية التى حرصت عليها وعلى رسالتها وكان طلبة العلم يقصدون تاهرت من كل حدب وصوب لاخـــذ العلم أو لعرض العلم فكانت تصل المشرق بالمغرب والشمال بالجنوب وتذكر الروايات التاريخية أن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم قد ارسل ألف دينار الى اخوانه بالبصرة ان يشتروا له الكتب فأوفدوا له أربعين جملا كتبا (2) •

وكذلك فان أبا غانم بشر بن أبى غانم حضر من البصرة الى تاهرت ومعه مدونته المشهورة فعرضها على الامام عبد الوهاب ورواها الامام عنه • وكانت عاصمة الدولة الرستمية « تاهرت » مركز حركة علمية مزدهرة يتـــولى الائمة بانفسهم الاشراف المباشر عليها والمساهمة فيها ، وتذكر الكثير من الروايات وفود المشائخ اليها وتلقيهم العلم على الائمة بتاهرت •

وكذلك فقد كانت للائمة الرستميين مساهمات فى التأليف ، وتذكر المصادر كتاب التفسير لعبد الرحمن بن رستم وكان موجودا حتى أواخر القرن الرابع للهجرة ••

وكتب الامام عبد الوهاب اجوبة فقهيـــة لا تزال موجودة وكذلك الامام أفلـــح ابن عبد الوهاب وكان أكثر كتابتهم فى الفروع (3) ، واشتهر الامـــام أبو اليقظان بمساهمة فى البحوث الكلامية فكتب فى الاستطاعة وحدها اربعين رسالة حســـب ما يذكره رواة السير (4) ولا اريد ان اطيل الحديث فى هذا أو أرجو ان أكـــون قد كفيت أمره ممن تعرض للحديث عنه فى هذا الملتقى ، ولكن ما قصدته هنا هو دور

(2) السالمى : اللمعة المرضية فى اشعة الاباضية (ضمن مجموع) ص : 75 •

(3) انظر مقالتنا Description of New Ibadi Mss. from North Africa : Journal of Semitic Studies : vol. 15, n° 1, 1970, pp. 69-71.

(4) الشماخى : السير •

وارجلان ونواحيها فى مواصلة هذه الحركة العلمية بعد سقوط العاصمة الرستمية ، فهى فى الواقع التى حملت الراية بعد تاهرت وذهاب مجدها ·

وكان فى ازدهار وارجلان كمركز تجارى هام وكمحطة رئيسية لحركة القوافل التى تنطلق منها الى الجنوب والى الشرق والغرب والشمال ، وكذلك لما تتمتع به من الامن النسبى الذى تفرضه أهميتها التجارية وانعزال موقعها مع قوة أهلها واتساع العمران حولها ، كل هذا جعلها مكانا مثاليا للقيام بدور البديل المباشر لتاهرت ·

قال صاحب غصن البان فى تاريخ وارجلان : « ووجدت فى ورقات قديمة من تواريخ وارجلان ان فيما بين حاسى بغلة ويفرن ووارجلان وجبل العباد وسدراتة مائة وخمس وعشرون بلدة كلها عامرة بالاباضية » (5) ·

وقال الادريسى : « هى (وارجلان) مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون فى بلاد السودان الى بلاد غانة ونقارة ـ هقارة ـ فيخرجون منها التبر ويضربونه فى بلادهم باسم بلدهم وهم اباضية وهبية » ·

ومن مظاهر قوة وارجلان ان أهلها حين لجأ اليهم يعقوب بن افلح عرضوا عليه البيعة وان يقوموا بأعباء الامامة وتأسيس الدولة من جديد فى وارجلان ، ولكنه اعتذر عن ذلك لعلمه ان أسباب ذلك لن تكون مكتملة رغم هذا الاستعداد الظاهر عند أهل ورجلان ·

لا شك ان استقرار يعقوب بن أفلح فى وارجلان (6) يحدد من الناحية الزمنية انطلاق الحركة العلمية بها كبديل لتاهرت ولم يكن ذلك هو بداية تلك الحركة فقد كانت هذه الديار تزخر بالعلم والعلماء ·

ومن الشخصيات العلمية الرئيسية فى وارجلان الشيخ أبو يوسف يعقوب ابن يوسف بن سهلون السدراتى المعروف بالطرفى « وكانت قراءته على الائمة

---

(5) من تقييدات نقلها عن الكتاب المشار اليه الشيخ سالم بن يعقوب الجربى ·

(6) الشماخى : السير : 365 ·

بتاهرت » (7) ٠ وصفه الدرجيني بقوله : « ذو الجهادين الاصغر والاكبر ، والاجتهادين المصلى والدفتر » (8) ، وقـــال الشماخي : « كان قاضيا وهو النهـــاية فى الفتيا فى وارجلان » (9) ، وقد كون حركة علمية طبية فى وارجلان من ألمع تلامذته فيها ووارث علمه والقائم بالامر بعده الشيخ أبو صالح جنون بن يمرسان (10) ، وكان عالما ورعا سخيا حازما ، وكان واسطة العقد فى وارجلان واليه التجأ زعماء الاباضية من نواحى تاهرت والحامة فقام بأمرهم احسن قيام وهيأ لهم من أسباب الاستقرار والتعليم مـا ساعد على ازدهار الحركة العلمية بها ٠

كان أول ذلك بمجيء أبو يوسف يعقوب بن أفلح حين اضطره الحجانى الى اللجوء الى وارجلان ، فلما بلغها هو وأصحابه تلقاهم أبو صالح جنون بن يمريان فى جموع أهل وارجلان فأكرموه ورفعوا درجته واحسنوا القيام بحوائجه ٠

واذا تعذرت أسباب اقامة الدولة وتجديدها بعد ورود الشيخ أبى يوسف يعقوب ابن افلح بن عبد الوهاب ، فان مساهمته فى ميدان التعليم كانت ذات شأن كبير ، فقد كان من دخول العلماء على عادة بيت الرستميين ، قال الدرجيني : « وكان يعقوب يحمل أنواعا من العلم ٠ بلغنا ان سائلا سأله ذات يوم ، اتحفظ القرآن ؟ فقال : استعيذ بالله من ان ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام ما لم احفظ واعرف معناه فكيف بالكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم » (11) ٠

وقد أقام أبو يعقوب بوارجلان حتى توفاه الله بها ونبغ بعده ابنه سليمان غير انه انتحل مسائل خالف فيها المشهور من المذهب وعرف بها وجرت عليه اعتراض المشائخ واعراضهم فحرمه ذلك من مساهمة مؤثرة فعالة فى الحركة العلمية هناك (12) ٠

(7) الوسياني : السير : 47 ــ 48 ، الدرجيني : طبقات (طبعة طـــلاى) : 331 ، الشماخي : السير : 288 ٠
(8) الدرجيني : السابق : 331 ٠
(9) الشماخي : السابق : 289 ٠
(10) انظر اخباره فى
(11) الدرجيني : السابق : 105 ٠
(12) أنظر تفاصيل ذلك فى طبقات الدرجيني : 1 : 108 ٠

أما الشخصية الثانية بعد يعقوب بن افلح فهو الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل واليه انتهت رئاسة الاباضية فى العلم ، وقد شارك فى الثورة ضد سلطان العبيديين ، وعندما عزم السلطان العبيدى أبو تميم التحول الى مصر أخذ معه أبا خزريغلا بن زلتاف حتى لا يحدث بعده شيئا ، وأراد ذلك من أبى نوح ، ولكنه تمارض وتخلف عن أبى تميم « فهرب وقصد وارجلان بأهله مستخفيا خشية أن ينتقل الى مصر ٠ فلما بلغ خبر وصوله الى مشارف وارجلان وجاء البشير بالخير الى أبى صالح جنون أرسل اليه يقول : « لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين » ٠ ولما وصل وارجلان انزله الشيخ وجماعة أهل وارجلان واحسنوا نزوله وتجاوزوا الحد فى الاعظام واكرموا مثواه غاية الاكرام » (13) ٠

وكان هذا الجو الكريم المضياف الآمن فى ورجلان سببا فى اتجاه انظار أمثال هؤلاء العلماء والزعماء اليها والاستقرار بها وتنشيط الحركة العلمية فيها ٠

وقد رحب أبو صالح جنون بالشيخ أبى نوح سعيد بن زنفيل واجرى عليه الارزاق الكثيرة وامده بكل ما يحتاج اليه من أموال ، واجرى له فى كل يوم مائدة وأخرى عشية وباختصار : يسر له كل سبل الاستقرار التى تجعله يأنس الى وارجلان كقاعدة جديدة لنشاطه العلمى (14) ٠

وعقد الشيخ أبو نوح حلقة الدرس فى مسجد الشيخ جنون « وكانت جماعة أهل وارجلان تجتمع عند مسجد الشيخ جنون فمنهم المستفيد منه علما ومنهم المستبرك بمشاهدته والمشارك فيما يعرض من أمور دنياه ودينه ، والمقتنى منه خلقا يتحلى به » ٠ قال الدرجينى : « ومكث أبو نوح فى وارجلان على هذا الحال زمانا » (15) ٠

ويظهر ان شخصية أبى صالح جنون كانت مسؤولة فى المكان الاول عن ازدهار الحركة العلمية وانتظام الحياة الدينية والاستقامة الخلقية فى وارجلان ، وذلك لما له من نفوذ واسع وتأثير مباشر ولما يبذل من المال الطائل فى دعم تلك الحركة العلمية والنفقة

(13) السابق : 1 : 144 ٠
(14) السابق 1 : 145 ٠
(15) السابق ٠

على الشيوخ والطلبة هو وأمثاله مـن أهل المال والفضل كالشيخ أبى عمرو التناوتى وبوفاة أبى صالح تضعضع ركن هام من اركان هذه الحركة فنجحت مظاهر التهـاون بالدين والاستخفاف بأحكامه بل والتجهم لعلمائه وائمته ، وهذا أبـو نـــوح سعيد ابن زنغيل بعد خروجه عن وارجلان وتقلبه فى مواطن من افريقية يعود الى واجـــلان من جديد ، وفى مخيلته تلك الصورة القديمة المشجعة المؤنسة فاذا به « يجد البلد بعد موت الشيخ أبى صالح جنون بن يمريان قد فسد ، والاحوال على غير ما عهد » (17) •

وقد لخص أبو نوح مآخذه على الحياة الدينية والاجتماعية فى وارجلان فى الآتى :

1) انتشار نكـاح السر •

2) والثانية « أن أحدكم يطلق عبيده فلا يعولهم ولا يمونهم ولا يكفيهم طلب معاشهم فينطلقون فى أموال الناس على غير رضى أصحاب الاموال ، وعلى غير اذنهم فيكاد يكون أحدكم سارقا وهو فى محرابه جالس » •

3) والثالثة انكم اظهرتم فيما بينكم التخرب والتفرق ، فطائفة منكم يقولون مسجدنا ومسجدكم ، وطائفة يقولون حضرينا وحضريكم ، ويهودينا ويهوديكم » (18) •

وقد ادرك أبو نوح أن واقعا كهذا لن يشجع على حركة علمية دينية ملتزمة خاصة بعد أن بذل جهده فى وعظهم ونهيهم ولكنهم تلكأوا فى الرد عليه والاعتذار عن تلـك الحال أو الاقلاع عنها ، فارتحل عنها نهائيا •

وهكذا ، ولفترة وجيزة ، لم تستطع وارجلان ان تستقطب عناصر الحركة العلمية الاباضية التى رفع مشعلها بعد هذا الدور فيما حولها من الاصقاع علم من اعلام القرن الرابع هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر الفرسطائى ، يمثل هذا الشيخ حلقة وصل بين مرحلتين من مـراحل الحياة العلمية والسياسية فى المجتمعات الابـاضية بالمغـــــرب •

---

(17) الدرجينى : 1 : 154 •
(18) السابق : 1 : 155 •

فاذا كانت جهود من قلبه قد اتجهت الى محاولات سياسية وعسكرية لاعادة بناء الدولة الاباضية وترسيخها على انقاض الدولة العبيدية كما حاول أبو يزيد مخلد بن كيد وبعده أبو خزر يغلا بن زلتاف ورفيقه وتلميذه أبو نوح سعيد بن زنغيل ، فان أبا عبد الله محمد بن بكر قد انصرف بجهوده كلية الى بناء حركة علمية تربوية منظمة تنظيما دقيقا للمحافظة على استمرارية البناء الإجتماعي والديني والعلمي للمجتمعات الاباضية حين خبر ما انتهت اليه تلك المحاولات السياسية قبله من انهاك للامة وتبديد لطاقاتها واضعاف لامكاناتها • ولد الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر حوالى عام 345 هـ على ما حققه الشيخ بكلي عبد الرحمن (19) ، وتوفي سنة 440 هـ باتفاق المصادر (20) بتين ابسلى (بليدة اعمر) اليوم ، ودفن فيها • وهو نفوسى الاصل من (فرسطاء) بجبل نفوسة بليبيا • وقد تنقل فى بلاد الاباضية ما بين ليبيا والمغرب فى رحلات عديدة وتلقى العلم على شيوخ عدة ولعل أهم وأكبر شيوخه الشيخان أبو نوح سعيد بن زنغيل وأبو زكريا بن أبى مسور • قال الدرجينى : « وكانت لكل واحد منهما به عناية وله فيه حسن نظر » (21) وقصد مدينة القيروان وأقام بها مدة يتلقى علوم اللغة والنحو •

وبعد دراسة عميقة مستوعبة لاحوال مختلف الديار التى تنقل فيها ، وبناء أيضا على أمر شيخه وتوصيته لبعض تلاميذه ، استقر رأيه على الانتقال الى مغراوة ريغ (وغلانة اليوم) وقال : ها هنا ناس رقاق القلوب ارجو أن ينتجع فيهم الاسلام ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول ويكونوا لهذا الخبر أهلا (22) . وقد عقد الحلقة وجلس للتدريس فى أريغ سنة 409 هـ ، ثم انتقل عنها الى يتسلى (بليدة اعمر) وأسس بها الحلقة وأرسى قواعد نظام العزابة وصاغه فى صيغته النهائية • ويذكر الشيخ بكلى عبد الرحمن أن أبا عبد الله محمد بن بكر قد سبق الى هذا النظام ولكنه حرره وكتبه ودون قواعده

(19) فى تقييدات عنده تكرم وعرضها على عند مقابلة معه بتاريخ 1976/12/30 •
(20) أبو الربيع الوسيانى : السير : (مخطوط) ص 32 والدرجينى •
(21) الدرجينى : الطبقات : 1 : 167 •
(22) السابق : 1 : 170 •

فعرف به ، وانما كانت هذه الطريقة نتيجة دراسات ومداولات بينه وبين شيخه أبى زكريا بن أبى مسور ويؤكد هذا الكلام قول الدرجينى فى كتاب الطبقات : « فهذا سبب قعود الحلقة المباركة الصادرة عن أكرم مشاركة بين الشجرتين الصليبتين المسورية والبكرية بخطبة واجابة كانتا فى الله فتولدت بينهما الانوار البهية » (23) .

ونستطيع أن نجزم بأن أهم انجاز فى اطار الحركة العلمية فى هذه الديار وفى هذه المرحلة ـ نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس ـ كان وضع هذا المخطط المحكم لنظام الحلقة وارساء آدابه وقوانينه وترسيخها فى أوساط المجتمعات الاباضية مما أعان على دعم الحركة العلمية على أسس ثابتة ومنظمة .

وكنت أود لو سمح المجال أن أذكر طرفا من هذه الآداب والقوانين التى تتعرض لنظم الدراسة والحياة فى الحلقة وما يتعلق بها من السلوك والعبادة ، وحسبى أن أشير هنا أنها جمعت بين التعليم والتكوين وبين التدريس والتوجيه وبين الشكل والروح والجوهر والمخبر ... وتفاصيل هذه التراتيب مذكورة فى الطبقات للدرجينى ـ وهى كذلك عند البرادى فى الجواهر ، وقد تناولها دارسون معاصرون بدراسات ومناقشات مفصلة (24) .

كان يتولى التدريس واعداد الطلبة فى هذه المرحلة ثلاثة شيوخ فكان أبو يعقوب وهو شيخ كان بنفوسة امسنان مقصدا للمبتدئين فاذا انتظموا فى حلقته علمهم السير وآداب الصالحين ، ثم ينقلهم الى محمد بن سودرين فيجرون قراءة القرآن ويتعلمون اللغة والاعراب ثم ينتقلون الى أبى عبد الله بن بكر فيعلمهم أصول الدين والفقه « فكانوا يشبهونهم بثلاثة نجارين احدهم يحسن قطع الخشب ، والثانى يشقها وينشرها، والثالث يركب الالواح ويسمرها فيما يصلح من الادوات » (25) .

وقد كان الشيخ يخرج للحلقة فى آوان الربيع الى بادية بنى مصعب ، وبفضل جهوده ومساعيه استمالهم الى طريقته واصبحت ديار بنى مصعب فيما بعد مظهرا متصلا

(23) الدرجينى : I : 170 .
(24) انظر مقال (الحلقة) Halka فى دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الثانية .
(25) الوسيانى السير : (مخطوط) ص 32 ، الدرجينى : 2 : 398 والشماخى : السير : 517 .

لتلك الجهود المثمرة التى استطاعت أن ترسخ مثل الاسلام وقيمه وتحافظ عليها على مر الزمان • وكان يوزع تلامذته على الاحياء فى افريقيا للتعليم والارشاد (26) ، وبذلك استطاع ان يوسع آفاق حركته فى كل الديار الاباضية بين جـربة ووارجلان ، وان يحافظ على مثل الاسلام واخلاقه بين الناس بما أوتى من حسن التدبير وجميل الرأى •

وكان يشجع طلبته على مطالعة الكتب وتأليفها وقد نبغ منهم عدد كبير ساهم فى الكتابة والتأليف وتركوا آثارا علمية جمة ذات قيمة كبيرة •• حـذوا فى ذلك حـذو شيخهم أبى عبد الله ، وقد نصب من نفسه قدوة لهم • قال الشماخى : « وله فى كل فن تآليف كثيرة» (27) ومن هؤلاء العلماء الذين ساهموا فى حركة التأليف الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتى المتوفى سنة 471 هـ (28) • تلقى العلم عن أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن بكر ، ثم رحل الى جربة لاستكمال تعليمه بها على أبى محمد ويسلان بن أبى صالح وزكريا ويونس • وهناك عقد الحلقة لتدريس أصول الـدين ووفد عليه الطلبة من كل ناحية وألف فى العقائد كتابا نفيسا جليل الفائدة فى جزأين سماه « التحف المخزونة والجواهر المصونة » وتوجد نسخ مخطوطة منه (29) •

ومنهم أيضا أبو العباس احمد بن محمد بن بكر متوفى سنـة 504 هـ (30) تلقى العلم على أبيه وعلى أبى الربيع سليمان بن يخلف • وألف الكتب فى أكثر من ميدان ، ومن كتبه كتاب الجامع فى الفروع ويعرف بأبى مسألة ، كتبه بناء على طلب أبى عبد الله محمد النفوسى الابديلانى ، فى جزأين وقد طبع بزنجبار • وله كتاب القسمة ، وكتاب أصول الارضين فى عدة مجلدات وكتاب تبيين أفعال العباد فى علم الاخلاق على أسس اسلامية محضة فى ثلاثة أجزاء ، ومسائل التوحيد ، رسالة مختصرة فيما لا يسـع جهله ، (معدة للنشر) • وكتاب مسائل الاموات وكتاب الدماء ، وكتاب الالواح ، وهذه

(56) الدرجينى : الطبقات : 1 : 186 ـ 187 ، الوسيانى : السير : ص 32 •
(27) الشماخى : السير : 384 •
(28) الدرجينى : السابق : 2 : 428 •
(29) انظر وصف هذه المخطوطة فى مقالتنا عن المخطوطات الاباضية
(30) الدرجينى : 2 : 446 ، وأخباره هناك صفحات 442 ـ 446 •

الكتب كلها موجودة فى خزائن المخطوطات فى مصر وجبل نفوسة وجربة ووادى ميزاب (31) ·

قال الدرجينى : « انه لما دنت وفاته أودع علومه الكتب فصنف تصنيفات خمسة وعشرين كتابا وكتابا آخر تركه فى الالواح » (32) · وتذكر الروايات انه قد عرض جميع ما صنف غير كتاب واحد تركه فى الالواح فى أجلو · ورغب الاشياخ فى وصولها اليهم بايفران من قرى وارجلان فعرضها عليهم ولده ، وهؤلاء الاشياخ هم اسماعيل وحمو بن المعز وأيوب بن اسماعيل وداود بن واسلان ، وأبو سليمان الزداغى (33) ·

وكان له حرص على العلم ، واهتمام بالمكتبات ، وقد ذهب خصيصا الى جبل نفوسة للمطالعة فى مكتبة قصر «ولم» الشهير ويقع فى قمة جبل مرتفع يشرف من ناحية الشرق على مدينة شروس · ومكث فى تلك المكتبة أربعة أشهر لاينام ليلا ولا نهارا الا فيما بين أذان الصبح الى طلوع الشمس · قال : « فنظرت فى اثناء ذلك فيما هناك من كتب المذهب التى وصلت من المشرق فاذا هى نحو 33 ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأتها حينئذ » (34) ·

وممن ساهم فى حركة التأليف من هذه الطبقة الشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطى ، وكان كما يقول الشماخى : « من أعظم الناس قدرا ومن أكثرهم علما ومن أشدهم عملا » قال : « وله تآليف فى العقائد تدل على نباهة شأنه ورفيع درجته » (35) ·

ومن مؤلفاته كتاب « الجهالات » وهو رسالة صغيرة فى مسائل الكلام شرحها أبو عمار عبد الكافى فى مجلد متوسط · وله كتاب « أصول الدين » تكلم فيه فى مسائل العقيدة وناقش الاصول العشرة : التوحيد ، والقدر ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، وألا منزلة بين المنزلتين ، والولاية والعداوة ، والامر والنهى والاسماء والصفات والاسماء

---

(31) انظر وصف هذه المخطوطات فى مقالنا المشار اليه
(32) الدرجينى : الطبقات : 2 : 444 ·
(33) السابق ·
(34) السابق : 445 ·
(35) الشماخى : السير : 432 ·

والاحكام ثم عقب عليها بمناقشة مسائل الرؤية ، والشفاعة والصراط والميزان وعذاب القبر وغيره ، وهو كتاب جيد التصنيف حسن التبويب سهل العبارة وقد حققته تحقيقا علميا ، وترجمته الى اللغة الانجليزية بالتعاون مع الاستاذ الدكتور Trover Le Gassick أستاذ الادب العربى الحديث فى جامعة متشجان Mitchigan وهو معد للنشر .

وقد ذكر الشيخ عبد الله السالمى من علماء عمان أن لتبغورين بن عيسى رسالة « الادلة والبيان » فى أصول الفقه (36) ، ولم أرها ولم أطلع عليها .

وعرفت الحركة العلمية فى هذه البلاد ، وفى هذه المرحلة صورة جديدة من التأليف المشترك ، وهو يشبه الى حد كبير ما يعرف اليوم بالموسوعات العلمية حيث يساهم العلماء كل فى تخصصه الذى يحسنه فى كتابة كتاب متكامل – ومن هذا اللون كتاب الديوان الذى ألفه ثمانية شيوخ وجعلوه خمسة وعشرين جزءا (37) .

وشبيه بهذا العمل الجماعى ديوان الاشياخ الذى ألفه علماء الاباضية فى غار أمجماج بجربة ..

وقد عرضت تلك الاجزاء كلها « أجزاء ديوان العزابة » على لجنة عليا تتألف من المشائخ الثلاثة : أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر ، وأبو الربيع وأبو محمد ماكش ابن الخير .

وكان الشيخ ماكسن ممن قطن وارجلان وأقام فيها فترة طويلة يواصل جهود من سبقه فى احياء الحركة العلمية بوارجلان .. وكذلك فان الشيخ أبا سامان داوود بن أبى يوسف ترك بها (بوارجلان) جماعة من التلاميذ واليهم رجعت الرئاسة فى العلم ، وبهم استردت وارجلان مكانتها العلمية من جديد ، يذكر الدرجينى رواية عن أبى الربيع سليمان بن يخلف قال : « فقد الناس من مسائل الحلال والحرام أكثر مما فقدوا من مسائل علم الكلام والجدال ، ولا أعلم اليوم من يقرأ عليه علم الفروع الا أن يكون أحدا من تلامذة أبى سليمان داوود بن أبى يوسف فان منهم جماعة بوارجلان (38) .

(36) السالمى : اللمعة المرضية فى اشعة الاباضية : 10 .
(37) الدرجينى : 2 : 256 ، الشماخى ، 431 .
(38) الدرجينى : الطبقات : 2 : 459 .

وبعد هذه المرحلة نبغ فى وارجلان عالم جليل أعطى دفعة قوية للحركة العلمية فيها بعلمه وماله وسخائه ، وأحيا من جديد ذلك الدور الذى رأيناه من قبل على أيام أبى صالح جنون بن يمريان هذا الشيخ هو أبو اسماعيل أيوب بن اسماعيل ٠ عقد حلقة الدرس فى وارجلان ، وكان الطلبة يقصدونه بها من كل جهة ، وقد كان كثير الابرار لطلبته يؤاسيهم وينفق عليهم مسخرا لذلك كل ما له ٠

ومن بين تلاميذه النابهين الشيخ أبو سعيد سليمان بن على الدرجينى جد مؤلف الطبقات وأبو عمر وعثمان بن خليفة السوفى وأبو عمار عبد الكافى بن أبى يعقوب التناوتى وأبو يعقوب يوسف بن ابراهيم بن مناد السدراتى الوارجلانى ، وهؤلاء الاعلام من طبقة بلغت شأوا فى العلم والتأليف لم تسبق اليه ولم تلحق فى مضماره ، فأغنوا بتآليفهم الكثيرة المكتبة الاسلامية عموما والمكتبة الاباضية خصوصا ٠٠

واذا كانت مساهمة هؤلاء الاعلام فى هذه الحركة العلمية من أزهى العصور التى رفعت مكانة وارجلان وأحلتها محل الصدارة من جديد ، فان فضل ذلك يرجع فى المكان الاول الى شيخهم وأستاذهم أبى اسماعيل أيوب بن اسماعيل ، فقد ترعرعت هذه الحركة وازدهرت بفضل توجيهه ورعايته ، وحسن قيامه بشؤون الطلبة وابراره لهم ٠

وتذكر كتب السير مدى تعلق طلبته به وشدة ارتباطهم بهذا الشيخ ومن صور ذلك قصيدة أبى يعقوب الوارجلانى البائية فى رثاء الشيخ أيوب ونقتبس منها الابيات التالية :

يقول :

بكت السموات العلا ونجومها   حزنا عليه والفلا والروب
واستوحشت منه المساجد كلها   لما خلت منه وحن النيب
واستشعر التقوى شعارا خالصا   قد ثاره الترغيب والترهيب

ويقـــول فيهـا :

يـا غائبـا مـا تنقضى حسراتنا أبـدا عليـه ولات حـين يئـوب
يا غائبا سكن الثرى فى حفـرة تعلـو الصفائح قبـره والطـوب
ان غبت عـن ابصـارنا وسماعنا لـم تحتجبك عـن القلوب غيـوب
قـد كان آن لك الجـواب لسـائل يدعو ، ويسأل ، كيف كنت تجيب
مـا كان ضرك لو أجبـت نـداءه ان الحشـا ضـرم ، وأنت قـريب

وهى قصيدة طويلة أوردها صاحب الطبقات كاملة (39) ٠

وأحب أن اخصص هذا القسم الاخير لاربعة من أعلام الحركة العلمية فى وارجلان ونواحيهـا هـم :

1 ـ أبو عمرو عثمان بن خليفة الميرغنى السوفى ، وهو وان كان من سوف الا أنه قد تلقى علومه فى وارجلان ، فهو لذلك جزء من هذه الحركة العلمية ونبت مـن نباتها الزكى المبارك ٠ قال الشماخى : « كان اماما ولا سيما فى العلوم » (40) قال : « وله من التآليف كتاب السؤالات وهو تأليف ، مفيد أظهر فيه منزلته من العلم » (41) ويورد الشماخى ملاحظات أخرى حول كتاب السؤالات لا بأس بايرادها هنا لانها تصور لنا لونا من ألوان التآليف المعروفة عند علماء هذه الديار ، قال الشماخى : « وأبو موسى عيسى بن عيسى النفوسى هو الذى ألف كتاب السؤالات التى رويت عن أبى عمرو عثمان بن خليفة املاء الشيخ أبى يعقوب يوسف بن محمد ، وعرض الكتاب على الشيخ أبى صالح نوح بن الشيخ ابراهيم وعلى الشيخ المعز بن جفاو (من أئمة الكلام واللغة والفقه) » ٠ (42)

---

(39) الدرجينى : الطبقات ، 2 ، 262 ـ 269 ٠
(40) الشماخى : السير 40 ٠
(41) السابق : 441 ٠
(42) السابق : 524 ـ 529 ٠

وكتاب السؤالات مزيج من البحوث الكلامية واللغوية غاية فى التحقيق والتفصيل، وتوجد منه مخطوطات عديدة فى جبل نفوسة وجربة ومزاب ، وعليه شروح وحواش للمتأخرين ·

قال الشماخي : « وله تآليف غيرها » يعنى السؤالات ، ويوجد منها رسالة مختصرة فى فرق الاباضية طبعت فى الجزائر ضمن مجموع بدون تاريخ ·

2 ـ الشخصية الثانية : أبو عمار عبد الكافى بن ابى يعقوب التناوتى ، أخذ العلم بوارجلان ثم ارتحل الى تونس وأقام فيها أعواما يتلقى علوم اللسان والمنطق ورجع منها بعد أن قضى نهمته من العلم فاستقر بين وارجلان وجبال بنى مصعب ، وله أجوبة ومراسلات ومؤلفات لها شأن ، أهمها كتاب الموجز فى مقالات الاسلاميين وغيرهم فى جزأين ، وله شرح الجهالات وهو كتاب حسن التصنيف جيد البحث شرح فيه بعض المسائل الكلامية التى اجملها الشيخ تبغورين بن عيسى فى كتاب الجهالات · وله مختصر فى الفرائض ، وهو الذى رتب اسناد الطريقة الاباضية فى طبقات قسمها على سنوات التاريخ تشغل كل طبقة خمسين سنة ما بينه وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وقد ضمنها الشيخ الدرجينى فى أول الجزء الاول من الطبقات (43) · وكان أبو عمار رحمه الله سخيا جواد النفس فرغ كل جهده للعلم والتأليف فكان كما قال عنه الدرجينى : « سببا فى بعث الحركة العلمية الاباضية واحيائها وتصدر بوارجلان للتدريس والفتوى وحل ما يرد عليه من المعضلات » · (44)

وذكر عيسى بن أحمد أن أبا عبد الرحمن الكرثى كتب الى جماعة الشيوخ بوارجلان كتابا يسألهم سؤال مسترشد قال : « فلما ورد عليهم كتابه لم يروا نفوسهم أهلا لمجاوبته الا أبا عمار فجاوبه عن جميعها ـ وقد أورد الدرجينى نص الاسئلة وجوابه عليها فى الطبقات » · (45)

(43) الطبقات : (طبعة طلاى ابراهيم) 1 : 6 ـ 10 ·
(44) الطبقات : للدرجينى : 2 : 485 ·
(45) السابق : 2 : 488 ـ 489 ·

وكذلك بعث اليه رجل من عاده يسمى عبد الوهاب بن محمد بن غالب بن تمير الانصارى رسالة يسأل فيها عن مسائل علم الكلام ، فتوفى رحمه الله وأجاب عليها أبو يعقوب ، وهى مضمنة فى كتاب الدليل والبرهان · (46)

3 ـ الشخصية الثالثة : أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتى وكان محققا بلغ الغاية فى علم الاصول والفروع كثير الاطلاع على مسائل الاتفاق والاختلاف وله مساهمة طيبة فى التدريس والتأليف والموجود من مؤلفاته رسالتان احداهما رسالة جيدة التأليف فى الفقه المقارن فصل فيها الجواب على عدد من المسائل التى يدور فيها الخلاف ، وذكر فيها مذاهب علماء الامصار ومختلف الائمة وساق فيها الادلة وما احتج به صاحب كل مذهب فى صورة تدل على سعة اطلاعه ورحابة صدره وصدق منهجيته · وقد نشرت محققة سنة 1972 م · وله رسالة أخرى تشتمل على مواعظ وتنبيهات فقهية هامة كتب بها الى جبل نفوسة ، وهى مفقودة مع الاسف ·

وقد جر عليه تفتحه العلمى وكثرة مطالعاته فى كتب الخلافيات الكثير من الاعنات من بعض معاصريه ، ولكن مسلكه الذي نهجه كان أجدر بالظهور والقبول لتجاوزه حدود التقليد الجامد الى الاصول الاولى ، ولنفاذه من الاحكام المجردة الى مناقشة الادلة فى مصادرها الاصيلة · وأصبح هذا الطابع السمح سبيل من جاء بعده من علماء المغرب الاباضية ممن كتب فى الفروع والاصول ·

4 ـ أما شخصية وارجلان الفذة ، وفيلسوفها الكبير ، فهو أبو يعقوب يوسف ابن ابراهيم مناد السدراتى الوارجلانى (الذى توفى سنة 570 هـ) (47) تلقى دروسه الاولى فى وارجلان على شيوخه أبى اسماعيل ايوب بن اسماعيل وطريقته ، ثم رحل الى قرطبة بالاندلس فاغترف من علومها ومعارفها فى أوج ازدهار جامعاتها بالعلوم والمعارف فصار كما قال الدرجينى : « له فى كل جو متنفس وفى كل نار مقتبس ، له

(46) الوارجلانى : الدليل والبرهان (مخطوط) (بخزانة الشيخ محمد ببانو ابن يزجن) 23 ظ ـ 30 ظ ·

(47) انظر اخباره فى السير للشماخى ، ص 443 وما بعدها ، والدرجينى : الطبقات 2 : 491 وما بعدها ·

يد في علم القرآن وفي علم اللسان وفي الحديث والاخبار ، وفي رواية السير والآثار وعلم النظر والكلام والعلوم الشرعية عباداتها والاحكام ، وعلـــم فرائض المواريث ومعرفة الرجال ، ولم يخل من اطلاع على علوم الاقدمين • قال : « بل حصل مـــع ملازمة السنة قطعة من علم الحكماء المنجمين » (48) وله أسفار كثيرة ورحلات ومغامرات في مجاهل افريقيا وغيرها من البلاد يشير في ثنايا كتبه الى بعض ما وقع له فيها من غرائب خصوصا كتاب الدليل والبرهان •

واستقر أبو يعقوب في وارجلان حيث تفرغ للتأليف والتعليم وذكر عنه أنه أقام فيها سبعة أعوام ملازما داره لا ينصرف يشتغل بالنسخ والتأليف لا يصرفه عــن ذلك شيء سوى قيامه لاداء فرضه (49) • قال الدرجيني : حدثني بعض الثقاة قال : « وقفت ببلادنا قسطيلية وسوف وأريغ ووارجلان على سبع نسخ أو ثمان من كتاب العدل والانصاف كلها بخط يده » • (50)

أما مؤلفاته : فقد كتب في التفسير كتابا جليل القدر ، وهو مفقود مع الاسف ، وصف البرادي ما رآه منه وصفا يدل على القيمة العلمية الرفيعة لهذا التفسير : قال البرادي : « وهو كتاب عجيب رأيت منه في بلاد أريغ سفرا كبيرا لم أر ولا رأيــت سفرا أضخم منه ولا أكبر منه ، وحزرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة ، فيه تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران ، وحزرت أنه فسر القرآن في ثمانية أسفار مثله ، فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشفى للصدور في لغة واعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة أو شــاذة أو ناسخ أو منسوخ أو في جميع العلوم ••• قال البرادي : ولعمري ان فيه لعلوما جمــــة » • (51)

أما في علوم الحديث فقد أعاد ترتيب المسند مسند الربيع بن حبيب وترتيبه هو المتداول اليوم ، وألف رسالة في التعريف برجال المسند وهذه الرسالة مفقودة •

---

(48) الدرجيني : 2 : 491 •
(49) السابق : 492 •
(50) السابق : 2 : 492 •
(51) نقلا عن اللمعة المرضية : 77 •

وله فى أصول الفقه كتاب جليل هو كتاب العدل والانصاف فى ثلاثة أجزاء ، وقد أتممت تحقيقه واعداده للنشر ، وهو من خيرة المؤلفات فى بابه ليس فى المكتبة الاباضية فحسب بل فى المكتبة الاسلامية كلها ·

وله كتاب الدليل لاهل العقول ، فى أصول الدين ومباحث علم الكلام والمنطق والفلسفة فى ثلاثة أجزاء ، طبعة حجر بمصر وتوجد منه مخطوطات عديدة ، وقد اهتم به بعض الدارسين المعاصرين وترجموا فصولا منه ·

وله اجوبة كثيرة فى مختلف الفنون · قال الشماخى : « ولا أحصى ما رأيت له من الاجوبة كثرة » · (52)

وله ديوان جمعت فيه قصائده (53) ، والمعروف منها اليوم قصيدتان القصيدة البائية فى رثاء شيخه ايوب بن اسماعيل ، وقد ضمنها الدرجينى كتابه الطبقات · والقصيدة الحجازية ومطلعها ·

عذيرى عذيرى من ذوات المعاجـــر ذوات العيون النجل بيض المحاجر

ذوات الشفاه اللعس بالظلم واللمى غرائـر خرق الصنع سود الغدائر

وهى قصيدة طويلة على عدد أيام العام بدأ فيها بغزل رقيق ثم ذكر الرحلة على وارجـــلان :

خرجنا نؤم الحج من حيز وارجـــلا بفتيان صدق من وجـوه العشائر

ووصف الطريق منزلة منزلة فى سيرهم حتى وصلوا ، وذكر المناسك ، ثم فعل كذلك حتى خرج ، ووصف طريق العودة حتى وصوله الى ورجلان ·

حيث يقول وقد خلف خلفه هول الطريق وشدته :

حللنا بواد الخير واللحم والقرى بهاتا وهاتا فى الصحارى المناكـر

جزى الله عنا وارجلا خير ما جزى به بلدا عن طالب الخير صائـر

هو الجنة الدنيا وأبـــواب مكـــة وأبواب تبـــر غانـــة والدنـانـر

(52) الشماخى : السير : اخبار ابى يعقوب 443 وما بعدها ·
(53) الدرجينى : 2 : 460 ·

ثم خرج الى شيء من علم الحدثان ، ثم وعظ أحسن وعظ وتذكير ··· وتوجد منها نسخ مخطوطة فى مكتبات جربة وميزاب ·

ويذكر أن أبا يعقوب كتب كتابا فى التاريخ (54) ولم أتحقق من ذلك ولعل التنقيب والبحث يكشفان عنه من بعد ، على أن الموجود من كتابات أبى يعقوب وتآليفه يضعه فى مصاف أعلام الاسلام الذين رفعوا راية العلم وأذكوا جذوة المعرفة ·

ولابد من الاشارة هنا الى اننى فى هذه العجالة قد تعمدت ذكر مشاهير العلماء ممن نبغ بهذه الديار فى الفترة الزمنية التى حددتها فى عنوان هذه الخلاصة ، وهناك العدد الكبير ممن هم فى درجتهم فى كفاحهم العلمى والدينى ، واذا كان ضيق المجال يمنعنا من التفصيل والتطويل فلابد من ادراج اسمين آخرين بين هذه المشاعل الوارجلانية ، واليهما يرجع الفضل فى حفظ هذه الآثار ونشرها وابرازها بما كتباه من سير أئمتها وعلمائها وبما دوناه من أخبارها هما أبو زكرياء يحيى الوارجلانى صاحب كتاب السير (55) ، ، والشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجينى صاحب كتاب الطبقات (56) · فالاول وارجلانى أصلا والثانى وان كان من الحامة من جنوب القطر التونسى الا انه درس فى وارجلان وتلقى بها علومه ، وكذلك والده وجده ··· فهو أثر من آثار تلك الحركة ونبتة زكية منها ·

ونختم هذه الخلاصة بالملاحظات التالية :

ـ لقد كان لوارجلان وبيئتها كمركز تجارى كبير ، ومحطة حيوية لرحلات القوافل التى تربطها بما حولها من كل الجهات وما تتمتع به من أمن نسبى ، كان كل ذلك من المقومات التى جعلتها ملجأ لزعماء الاباضية وعلمائهم يفيئون اليها ينشدون الاستقرار فيها ويتخذونها قاعدة لنشاطهم ومحاولاتهم المتصلة لاحياء الحركة العلمية ونشرها ·

(54) بكلى عبد الرحمن : مقدمة كتاب طبقات مشائخ المغرب للدرجينى : ص : ى وكذلك ترجمة الامام أبى يعقوب للشيخ أبى اليقظان ابراهيم (مخطوط) ·
(55) أنظر أخباره فى الطبقات للدرجينى : 448 وما بعدها والشماخى :
(56) أنظر أخباره فى مقدمة الشيخ بكلى عبد الرحمن المشار اليها آنفا صفحات : (ى ـ ن) ·

ـ بالرغم من ورود بعض الاشارات فى كتب السير ، مما يدل على أن ورجلان لم تكن فى مجموعها ترحب بالحركة العلمية ومسؤولياتها الا أن المنطقة كلها بما فى ذلك وارجلان لم تخل فى أية مرحلة من مراحل هذه الفترة التاريخية من شخصيات ذات أثر ونفوذ دعمت الحركة العلمية وآزرتها بالمال والعلم وأسباب النمو والازدهار ·

ـ كانت وارجلان مصدر اشعاع علمى تجاوزها الى بلاد بعيدة مثل غانة وجبل نفوسة وجبال بنى مصعب وتمثل هذا فى الرسائل والاجوبة التى كانت ترد على علمائها من هذه الاصقاع فكانوا يكتبون بأجوبتهم عليها وقد حفظ لنا التاريخ عددا من هذه الرسائل والاجوبة والمؤلفات ·

ـ على أن طبيعة وارجلان كمركز تجارى هام يفتح أبوابه للوارد والصادر ويفتح صدره لكل مغامر ينشد الثراء ويستكشف مجاهل الصحراء ، هذا الطابع كان ذا أثر واضح فى توسعة آفاق الحركة العلمية فيها والخروج بها الى آفاق رحبة سمحة سواء فى أنواع العلوم التى اهتم بها علماء وارجلان ، وقد شملت الفلسفة والنجوم ـ وهى علوم لا تجد تشجيعا فى الاوساط الاباضية المحافظة عادة ـ أو فى طريقة البحث والتناول التى خرجت من اطار الدراسة للمذهب الواحد الى دراسة شمولية للفكر الاسلامى فى مجموعة كما ظهر فى كتابات الوارجلانى وابن خلفون وأبى عمار وغيرهم ، أو فى الاتصال بمراكز الدراسة ومعاهد العلم الاسلامية خارج بلاد الاباضية كقرطبة فى الاندلس كما هو الحال مع أبى يعقوب الوارجلانى وكذلك تونس والقيروان كما هو الامر مع أبى عبد الله محمد بن بكر وأبى يعقوب عمار عبد الكافى ·

فهذه الملامح التى حاولت رسمها هنا فى هذه الخلاصة العابرة هى فى الواقع قليل من كثير ، واذا استطعت أن أضع أمامكم صورة عامة لتلك الحركة العلمية المزدهرة التى اتصلت وامتدت وما تزال فاننى آمل أن يوجه الباحثون من الشباب الجزائرى وغيرهم من العلماء بعض جهودهم الى الكشف عن هذه الكنوز واحيائها ونشر محاسنها ليعلم العالم كله أن كل حفنة من تراب فى أرض الاسلام قد تشبعت منذ ارتفع فى الافق نداء **لا اله الا الله محمد رسول الله** ، بدماء الشهداء جنبا الى جنب مع مداد العلماء ، وأن هذه الامة التى أضاءت المشعل أمام الانسانية فى الماضى تستعد للقيام بذلك الدور من جديد ، ونحن نرجو أن يكون نصيب الجزائر فى ذلك النصيب الكبير الوفير ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·



السيد سالم عزام ، أمين عام المجلس الاسلامى الاوروبى (لندن) يلقى كلمته فى جلسة الافتتاح ٠

دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب

د ٠ ابراهيم فخـــار
أستاذ التاريخ ـ جامعة وهران



من الموضوعات الهامة والغامضة فى تاريخ المغرب الاسلامى الوسيط ، موضوع بنى رستم الذى استهوى العديد من الباحثين والمتخصصين كما ظل ولا زال يظل الكثير من المؤرخين والمتطلعين الى دراسة التاريخ ٠

وهو ـ أى الموضوع ـ ان استهوى ثم ألهم عددا من رجال الفكر والسياسة والمتطلعين فى تاريخ الامـم والشعوب فلانهم لم يهتموا ببنى رستم كأسرة حاكمة توارثت الحكم أبا عن جد انما ربطوا تاريخ الرستميين فى المغرب بمبادئهم ونظرياتهم ثم نظروا الى علاقة شعوب المغرب عامة بحكام تاهرت ودور هؤلاء فى وحدة مغرب الشعوب ٠ ولا اخالنى متسرعا فى الحكم اذا قلـت : بأن اية دراسة تعتمد على ادراك نفسية الشعوب تسهل على الباحثين التعرف على هوية الحكام وعلاقاتهم بشعوبهم ؛ فكأن العمدة فى هذا الاتجاه هى الشعوب لا الحكـام ،

أو بالاحرى الشعوب قبل الحكام ، لان السلطة السياسية لا تأخذ طابع الشرعية ما لم ترتكز على ارادة الشعوب .

وأما كون موضوع بنى رستم قد ظل ولا زال يظل اغلب المؤرخين والمتحمسين لدراسة التاريخ ؛ فذلك راجع فى رأينا الى أمور :

أولا : الى الغموض الذى يكتنف الرستميين لا من حيث الاتجاه السياسى الواضح ، ولكن من حيث الاتجاه العقائدى والظروف النفسية والاجتماعية التى احتضنت فيها شعوب المغرب عبد الرحمن بن رستم .

ثانيا : الى الهوس الذى أصاب العقلية التاريخية فى مجال كتابة التاريخ الاسلامى العام . فجاءنا التاريخ صورة حقيقية لما اعتور النفوس من هوس المذاهب وتصدع كلمة المسلمين وتفرق شملهم ؛ والتاريخ بهذا المعنى ، زاد بالمسلمين بعد اعز معرفة واقعهم وعمق الهوة بين شعوب القطر الواحد ، مع أن الله واحد ، والقرآن واحد ، وحامل الرسالة واحد .

ثالثا : ويرجع الامر الاخير الى أن المؤرخين لم يكلفوا أنفسهم جهد المشقة فى البحث عن تاريخ الشعوب وحضارتها ودورها التاريخى فى قيام الدول ؛ انما فى سبيل ارضاء ذوى السلطان اختلق هؤلاء المؤرخون كل المبررات لتبرير الحروب والتوسعات وتحقيق المطامع واصفين كل شعب رفض الاستكافة والخنوع ، تارة بشق عصا الطاعة والنكوب عن الجماعة وتارة أخرى بحب الفوضى والنزعة الى الاستقلال ومرة ثالثة فى التاريخ الحديث وصف شهداء ثورة 1954 بالخارجين عن القانون .

لهذه الامور الثلاثة ، تعددت نظرة المؤرخين للرستميين وانقسمت فى دراستها لتاريخ هذه المنطقة فى المغرب الاسلامى الى مدارس ثلاثة :

الاولى : مدرسة المؤرخين الذين لم يكتفوا بجمع أحداث التاريخ وتصويرها ، انما لرغبة أو رهبة ، بالغوا فى تشويه الحقائق وتزويرها ؛ حتى ابن خلدون الذى عدد أخطاء المؤرخين وحدد الاوهام والمغالط التى تقع فى التاريخ ، لم يسلم هو الآخر من هذا الزلل التاريخى وهو يتكلم عن الرستميين ومؤلفات علمائهم التى ضربت بسهم

فى اجادة التأليف والترتيب ؛ ولكنه ، وفى كل مرة يعرض فيها للرستميين ، يعقب كلامه بالضلالة والخروج عن جادة الصواب مع أنه عندما عرض لتاريخ وأصل الادارسة فى المغرب الاقصى بوأهم فرع الدوحة المحمدية النبوية وانكر على الرستميين رفضهم القرابة النسبية ؛ وهذا مثل من عشرات الامثلة التى شوهت التاريخ، وأضاعت الحقيقة التاريخية ؛ لذا فانى أعتقد أن من أوكد واجبات المؤرخين الملتزمين المؤمنين بقضايا شعوبهم أن يعيدوا النظر من جديد فى كل ما كتبه المؤرخون فى التاريخ الاسلامى العام ؛ ولا أكون مبالغا اذا قلت بأنه يجب أن نبدأ كتابة التاريخ المغربى من الصفر ، واضعين فى عين الاعتبار ، التكوين النفسى لكل المجتمعات الاسلامية ، مبتدئين بتاريخ الشعوب الاقتصادى والاجتماعى ثم الثقافى ، لا على أساس تسلسل الاحداث والاسر الحاكمة زمنيا انما على أساس الوحدة العضوية فى الموضوعات ؛ لان الهزات الاجتماعية التى وقعت وتقع هنا أو هناك ، كان منطلقها الرئيسى ، فراغ بيت المال والرغبة الملحة الجامحة فى الاستزادة ، وسد النقص من أى وجه كان ؛ وليس هذا الوجه فى أى حال من الاحوال غير الشعوب التى تضحى بعرق جبينها لتغطية العجز فى مزانية القصور ، ريثما يزج بهذه الشعوب فى غمرة الحروب ، أو توجه ـ فى حالة الرفض ـ ضدها حروب ، وبأموالها ؛ ولا يلبث المؤرخون ان يصفوا هذه الشعوب بالتمرد والعصيان ، مع أن المفروض في الدراسات التاريخية أن يؤرخ المؤرخ للشعوب ثم يأتى التاريخ السياسى فى مرحلة استصدار الحكم ؛ فكأننا والحالة هذه ، قد بدأنا بتاريخ الشعوب ، لان مثل الثورة منها واليها ، ثم عطفنا على الحاكم ؛ ان كان نابعا من ارادتها ودون انحراف فهو بحكم التجانس منها واليها ، وان كان مفروضا على رقابها فلا يمكن أن يكون الا عليها ٠

الثانية : أما المدرسة الثانية التى عنيت بتاريخ الرستميين والتى لا تخرج فى اتجاهها وأهدافها عن المدرسة الاولى ، فهى كتاب ومؤرخو بنى رستم من الاباضية أنفسهم ٠

نعم ، اشتهر أئمة بنى رستم وعلى الاباضية بطول الباع فى العلوم والتأليف ، وتشهد اليوم خزائنهم وأرشيفات أوروبا بالذات بضخامة هذا التراث ؛ ولكنهم عندما

تصدوا للتأليف سيما بعد سقوط دولة بنى رستم تصدوا فى حقيقة الامـــر والواقع للدفاع عن موقف والتعريف بشعب المغربين الاوسط والادنى ؛ فكأنهم بعد ان فقـدوا الامل فى آخر الرستميين من احياء الامامة الرستمية بوارجلان ، أشهروا أقلامهم لانهم كانوا عرضة ـ فى مجال التاريخ ـ للهجوم ؛ وحيث أنهم اتخذوا موقفا دفاعيا مشبوبا بعاطفة وجدنا أمامنا دراسات ومؤلفات وكتب سير لا تختلف فى منهجيتها وتحيزها عن المدرسة الاولى ؛ وان اختلفت عنها شكلا ومضمونا مثلها مثل مؤرخى الشيعة فى رد الفعل الذى سلكته فى الرد على الخصوم

ولكن من الذى استفاد من هذه المجلدات والدواوين وكتب اليسر ؟

ومن الذى استفاد من تذبذب التفكير التاريخى عند المسلمين عامة ؟

لم يستفد أحد من هذه الشطحات الفكرية والصراعات المذهبية الا أصحاب المدرسة الثالثة والاخيرة وهى :

مدرسة المستشرقين والغربيين

حتى لا نقع فى أى غموض والتباس ، أريد توضيح وجه الاستفادة لا على أســـاس المدلول الحقيقى للكلمة ٠٠ انما أرمى الى ان أصحاب هذه المدرسة عندما أرادوا دراسة الرستميين وأتباعهم وشعوب المنطقة التى حكمها بنو رستم ، عمدوا الى كتب التاريخ الاسلامى العام ودرسوا مؤلفات الاباضية دراسة عميقة ومستفيضة ، ثم عرفوا بعـد ذلك كيف يسيرون منهجيتهم فى دراسة تاريخ هذه الشعوب ، بالغين بذلك أعلى مراحل الاستعمار الفكرى والسياسى والاقتصادى ؛ ولا نندهش اذا وجدنا مؤرخى بنى اسرائيل فى جامعة تل أبيب ، يدعمون حقهم التاريخى فى الارض الموعود بها بنصوص مـــن التاريخ الاسلامى ، كما لا نستغرب أمرا أشنع من هذا ، وهو ، أن كل رسالة جامعيـة تناقش موضوع الرستميين أو أى موضوع يتصل بشعوب العالم الاسلامى الا وتجـد طريقها ـ خفية ـ الى جامعة تم أبيب ؛ وحددت هذا المثل بالذات لانه ابلغ من غيره ٠

أما اذا قرأنا أو علمنا أن مجموعة من المخطوطات تسربت الى الفاتيكان ، فذلك لان رجال الكنيسة كانوا أكثر نشاطا وحزما فى خدمة أغراضهم وتحقيق أهدافهم ·

ولقد اتخذت دراسة الغربيين والمستشرقين موضوع الرستميين عدة أوجه وشتى الاتجاهات ·

منها من بحث عن العلاقة بين أصل الرستميين الفارسى ، وبين البربر الامازيغ ، ليبنى نتائج أحكامه الخاطئة ، على أساس العرق والجنس ، وليبعد عن مغرب الشعوب كل المقومات وأسمى الصفات التى كان من أبرزها وأهمها :

ـ وضوح الشخصية البارزة المتميزة ·

ـ الاعتزاز بالارض والانسان والمبادىء ·

ـ بعد النظر وعمق التفكير ، مقترنان بضبط النفس فى أحرج المواقف ، ومعرفة جلية للواجب مع اتخاذ المبادرات السلمية التى تعبر عن الهمة العالية ·

ألم يشكل المغرب الاسلامى ، وفدا سياسيا ، ليعرض على الخليفة هشام بدمشق ، حلولا سريعة ومساعدة بناءة لانقاذ الخلافة الاموية من التدهور المالى والاجتماعى ؟
وانطلاقا من هذه المقومات المميزة لشعوب المغرب فى عهد الرستميين أو حتى ما قبلهم ؛ فانى أبادر الى القول بأنه من الخطورة بمكان ، أن نساير هذا الاتجاه الذى يجعل أرومة بنى رستم فى الساسانيين ، وما لم يثبت لدينا بالادلة القطعية بأن عبد الرحمن ابن رستم من أصل فارسى فلا يمكن قبول هذه الدعوى ، ولو قبلناها على علاتها ، فمؤسس الدولة الرستمية نشأ نشأة عربية وظهر فى العراق مع والديه ، قبل رحيله الى المغرب مع زوج أمه التى تزوجت حاجا مغربيا فى موسم الحج ·

والمستشرقون الذين ركزوا على هذا الجانب وألحوا عليه ، كانوا ـ بحكم النصوص ـ فى أمس الحاجة الى تدعيم الفكرة القائلة بأن الرستميين غير مغاربة وبالتالى فهم ليسوا

عربا الا من حيث اللسان ؛ وتبالغ بعض الروايات فتجعل بعض المترجمين (1) ذوى النسبة الفارسية يقومون بالترجمة الى الائمة الرستميين من البربرية الى العربية أو من كلتيهما الى الفارسية • فى كان أغنى الامام أفلح بن عبد الوهاب عن أن يترجم له أبو صالح الفارسى ، بحجة ان كان يملك زمام البربرية التى ألف بها اثنى عشرة ديوانا ، كلها فى الشعر ؛ والمغالطة واضحة والزيغ بين •

ودائما فى خدمة هذه الاهداف ، أخذ بعض المستشرقين يطعن على الفاتحين المسلمين الاوائل من خلال الثورات التى قام بها المغاربة فى وجه الولاة ، فأظهروا الجنود الفاتحين فى صورة جنود مرتزقة ، وأظهروا المقاومة ، وكأنها مقاومة لغزو أجنبى تحت ستار الاسلام ؛ مع أن جل المؤرخين متفقون بأن البربر لم يثوروا ولم يريدوا الخروج عن طاعة الخليفة ، الا بعد التأكد من أن تصرفات الولاة فى الرعية كانت بأمر من الخليفة نفسه • وموقف الوفد المغربى الى هشام يؤكد محافظة شعوب المغرب على وحدة الجماعة الإسلامية والخلافة قبل وحدة المغاربة أنفسهم ، ولما ثبت للمغاربة أن الخلافة عاجزة عن حل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية لجأ مغرب الشعوب الى نوع آخر من الوحدة ؛ وحدة الاهداف العادلة والمبادىء الديمقراطية ، وتقديم ذوى الكفاءات ، فى ظل دولة نابعة من ارادة الشعب تنسجم مبادئها وأهدافها مع المزاج النفسى لمغرب الشعوب ؛ وهذا ما اغفله المؤرخون وغضوا الطرف عنه ؛ واستغله الدارسون الغربيون فى مختلف دراساتهم وبحوثهم • لهذا لا نتصور أن هناك حياة خاصة وسرية للرستميين ؛ وما ظهور الصقالبة كحرس فى أسواق تاهرت الا كوجود المغاربة والمغربيات السنيات فى قصور العباسيين مع اختلاف الفارق فى المغزى هنا وفى الهدف هناك •

لقد كانت قوة الرستميين تكمن فى السلطة الروحية التى توزعتها أقطار مغرب الشعوب ؛ ولم تكن هناك قوات وجيوش ، انما كان التفكير السياسى الواضح ازاء الرعية وازاء الجيران ، هو الذى أعطى طابع الاستقرار ، والوحدة فى مجموع المشاعر والافكار • واذا ما تصفحنا تاريخ الرستميين من خلال أقوالهم وسلوكهم ، وجدنا ان

---

(1) أبو صالح الفارسى ألف 12 ديوانا فى الشعر وباللغة البربرية ، جعله الدرجينى ابن على بن رستم فى القرن 4 هـ وكان يسكن مرسى الدجاج •

الثقافة عندهم هى سلوكهم الاجتماعى ، أى أنهم ترجموا الثقافة الى واقع اجتماعى محسوس وملموس ، دون ان ينموا الشعور المذهبى فى رعيتهم ، ولم يكونوا مذهبيين بقدر ما كانوا مغاربة مسلمين ، هدفهم : وحدة شعوب المغرب فى ظل مغرب واحد . وحدة سياسية جغرافية لا فى حدودها انما فى بشريتها ولغتها ودينها .

لقد كان عمال تاهرت من سرت الى زويلة الى جبل نفوسة الى شط الجريد فالمغرب الاوسط بكامله ، كانوا لا يمثلون الحكام الرستميين ، انما كانوا يمثلون رعيتهم أمام تاهرت . هذه الرعية التى لم يكن وليس فى وسعها أن تصوغ لوحدها تاريخها ؛ انما كانت ولا زالت فى أشد الحاجة الى من يفجر طاقاتها ويوحد سلوكها ويعمق مفاهيمها وينمى مواهبها ويوحد مشاعرها ويحدد وجهتها ؛ تلك هى المسؤولية التاريخية الخطيرة التى وقعت على كاهل الرستميين فى القديم ولا زلنـــا نواصل رسالتهم الهادفة فى تحقيق وحدة مغرب الشعوب .



فى القاعة، اثر الافتتاح مباشرة

مشاكل تواجه الإسلام فى إفريقيا اليوم

د . وليام مونتقومرى وات
أستاذ بقسم الدراسات العربية والاسلامية ،
جامعة ادنبره (بريطانيا العظمى)



يبدو أنه من الصعب أن نتحدث عن موضوع واسع مثل هذا الذى اخترناه للمناقشة الحالية . وعلى النقيض من بعض العلماء الغربيين الآخرين ، فاننى أريد أن أؤكد بان الاسلام هو بالضرورة واحد دون تغيير فى مظاهره المتعددة سواء كان ذلك فى افريقيا أو غيرها . وبالرغم من ذلك فان هناك عقبة معينة تجعل انتشار الدين الاسلامى فى افريقيا صعبا .

كان الدين الاسلامى فى بعض الاقطار قد انتشر منذ قرون ، وكانت أغلبية السكان من المسلمين ، ومن بين هذه الاقطار هى بلدان شمال افريقيا . ثم ان هناك بلدانا موجودة فى شرق وغرب افريقيا ، حيث يعتبر فيها المسلمون اقلية ، الا ان عدد معتنقى الدين الاسلامى فيها يتزايد نسبيا بالنسبة للديانات الاخرى . وبين هاتين المجموعتين ، توجد بلدان مثل النيجر والسودان وتنزانيا حيث انتشر الاسلام بقوة فى جزء منها وترك الجزء الباقى . وأخيرا ينبغى علينا ذكر تلك الاقطار حيث فيها المسلمون اقلية ، بالاضافة الى تقلص المعتقدات الافريقية القديمة فيها

لدرجة حدوث فراغ ديني يستطيع الاسلام ان يملأه ، وهذه هى أيضا مشكلة تواجه الاســـلام ٠

ان حقيقة وجود أساليب مختلفة بين المسلمين يزيد الامر تعقيدا ، حيث ان هناك من بينهم من يعمل على خلق نظام اجتماعى جديد أكثر عدالة بناء على الاسس الاسلامية وهناك من يريد العودة الى مراعاة أشد صرامة لتقاليد الاسلام مـع التكيف بدرجات متفاوتة فى الظروف الحالية ٠

يبدو أن البعض من الذين قد يئسوا من تجديد الاسلام من الداخل وذلك نتيجة للقوة الحصينة للمحافظين وذوى النزعة التقليدية ، يبدو أنهم أصبحوا يعتقدون بأن النظام الاجتماعى الجديد الذى يسعون من أجله ينبغى أن يكتسى صورة قالب غـير اســـلامى ٠

بالرغم من هذه التعقيدات فاننى اعتقد بامكانية اتخاذ بعض القرارات الهامة التى تتفق ومواقف معظم المسلمين فى افريقيا ٠ ان نفس العوامل العامة تؤثر على الجميع ، وهذه العوامل تمس حياتهم بصور مختلفة حسب درجة اسلام ذلك البلد والسياسة التى ينتهجها حكامها ٠ لذا فالجزء التـالى من هذا المقـال سيشتمل على تحليل هذه العوامل العامة والمشاكل التى تفضى اليها ٠ وبصدد هذه النقطة لربما اجــد نفسى مضطرا أن أذكر بأن تعاطفى قبل كل شىء سيكون مع هؤلاء الذين يعملون من أجــل اقامة نظام اجتماعى جديد وعادل وستكون ملاحظاتى موجهة بصـــورة رئيسية الى هـؤلاء النـــاس ٠

ومن بين العوامل الثلاثة المخصصة للمناقشة هو العامل الاول والاكثر أهمية : انه انتشار منتوجات العلم الحديث والتكنولوجيا فى كل انحاء العالم ٠ نحن نميل الى التحدث عن انتشار المنتوجات أو انتشار التكنولوجيا كما لو كان هذا شىء فعلتـه المنتوجات أو التكنولوجيا بموافقتها المحضة ، وطبعا هذا مجـرد طـريقة للتحدث ٠ والذى نشير اليه هو عملية معقدة من الممكن أن نميز فيها عدة مستويات ، وفى كـل مستوى نجد أن البشرية معنية بالامر ٠ المستوى الاول يبحث فى انسان يقدم للبيع

لانسان آخر قطعة من (النايلون) أو سيارة أو طائرة نفاثة ، لا شيء يتغير على أية حال ، ما لم يرد الشخص الثانى ما قدمه لـه الاول وعنده طريقة ما للدفع • بطبيعة الحال قد اصبح الآن واضحا بأن البشر فى كافة انحاء المعمورة فى حاجة الى كميات كبيرة من منتجات التكنولوجيا الحديثة • طلب الزعيم الهندى العظيم من أتباعه وشعبه أن لا يستعملوا القماش الذى تنتجه المصانع الحديثة ، وان يعودوا الى استعمال المغـزل البسيط ، ورغم شعبيته العظيمة لـم يستطع ان يقنـع شعبه بالكف عـن استعمال منتجات التكنولوجيا الحديثة • فى كل أنحاء العالم ، اينما تتوفر السلع التى تسهل حياة الانسان وتجعلها مريحة وأكثر ترفا نجد ان الناس مصممون على شرائها •

وعلى كل حال ، هذا هو المستوى الاول • يكون من السهل شراء سيارة من اليابان لكن اذا حدث خلل فيها فانك لا تستطيع اعادتها لليابان لاصلاحها ، اذن عليك أو على شخص آخر فى بلدك ان يتعلم كيفية اصلاح السيارات اليابانية • وبمعنى آخـــر يكون من الضرورى الحصول على بعض المعرفة العملية بالعلم الحديث والتكنولوجيا • فى اطار هذا المستوى الثانى للحصول على الخبرة العملية تظهر أمور متعددة •

ان معظم الدول تريد حاليا القيام بتصنيع منتجات حديثة لنفسها وتحد بالتـالى من مدى اعتمادها على الدول الاجنبية • اذ نلاحظ وجود مستوى أعلى من أجل المشاركة فى الابحاث الخاصة بالعلم والتكنولوجيا التى تهدف الى اجراء اكتشافات جديدة فى ميدان العلم وايجاد منتوجات جديدة بناء على ما هو معروف من قبل • كل هذا داخل فى اطار انتشار منتوجات العلم الحديث والتكنولوجيا •

ان العامل الثانى من بين العوامل الثلاثة العامة هو الحاجة الى اقامة نظام اجتماعى جديد وعادل ، وهذه الحاجة تختلف من بلد لآخر حسب ظروفها المحلية ، وهى بالضرورة حاجة جديدة ، وذلك لانه بسبب المشاكل المحلية الخاصة يستطيع الانسان ان يدرك التغيرات الاجتماعية أو الارتباك الاجتماعى الذى يسببه انتشار التكنولوجيا الحديثة • المهن القديمة قد اصبحت غير اقتصادية ، بالاضافة الى انتهاء أجل أصحابها فينبغى احلال رجال جدد بمهارات وتقنيات جديدة • ان سرعة الاتصال الحـديث يسّر ادارة

مناطق كبيرة بصورة فعالة ٠ وعبر كل هذا بالاضافة الى التغيرات الاجتماعية الاخرى نلاحظ وجود تغييرات فى غنى وفقر مجموعات مختلفة ٠ يوجد عدد قليل من الاغنياء عجزوا عن فهم سير الامور فى العالم الحديث فاستمروا يعيشون فى نفس مستوى حياتهم القديم مما أدى الى افقارهم نسبيا ، الا أن معظم الاغنياء تمكنوا من التكيف مع الظروف الجديدة فاصبحوا أكثر غنى ٠ فالفقراء أو ذوو الدخل المتوسط من أصحاب الحرف الجديدة اللازمة لتسيير بلدهم كدولة حديثة ، هم الآن فى وضع مالى معقول فى حين ان قلة منهم اصبحت تتمتع بمراكز من القوة والثراء ٠ يمكن ان نعتبر بمعنى ما ان هذه التغييرات الاجتماعية هى نتيجة للاستعمار ، لان الاستعمار هو الذى شجع انتشار منتجات التكنولوجيا الحديثة ٠

مهما كان مصدر الارتباك الاجتماعى لبلد ما ، هناك ثلاث نقاط فى جميع الاحوال ينبغى مراعاتها فى أى نظام اجتماعى جديد ٠

أولا : استئصال أكثر أشكال الفقر شناعة فى القطر ٠

ثانيا : ينبغى محاولة الوصول الى تكافؤ اقتصادى أكثر ، لان التفاوت الكبير فى الظروف الجديدة بين الغنى والفقير يخلق قلقا اجتماعيا ٠

ثالثا : على كل واحد ان يساهم فى عملية اتخاذ القرار ٠

رابعا : ان كيفية ضبط هذه النقاط فى نظام اجتماعى جديد سيؤخذ بعين الاعتبار فى الوقت الحاضر ٠

ان العامل الثالث من بين العوامل الثلاثة العامة هو عبارة عن انتشار النظرة المادية بين كثير من الناس ٠ وليس المقصود بهذا هو الانتماء الرسمى لاحد أشكال المادية الفلسفية ، بل ان عادة العقل هى عدم التفكير فى الاشياء الروحية وحياة العالم عندما يصبح الانسان متخما بالثروة والممتلكات المادية ٠ هذا هو التفكير الذى كان موجودا فى زمن (سيدنا) محمد ، ذلك العقل الذى تربى على التمتع بالثروة والاملاك ، وهذا يشبه بصورة كبيرة النظرة المادية السائدة فى عصرنا الحاضر ، التى هى أيضا مرتبطة ارتباطا وثيقا بكثرة البضائع ٠ ان النظرة المادية فى الوقت الحاضر هى متأثرة

أيضا على أية حال بالعلوم الطبيعية • وفى ذلك نجد ان هناك ميلا سائدا بين المعجبين بالعلوم الطبيعية الى افتراض ان لا حقيقة الا بوجود تلك الاشياء التى درستها العلوم الطبيعية • وهذا بالطبع افتراض سخيف حيث توجد أسباب قوية ومعقولة تستطيع ان تدحضه ، ورغم ذلك نلاحظ ان هناك أناسا كثيرين يتبنون هذا الافتراض ثم يتبنون نظرة مادية • ففى الواقع تستطيع هذه النظرة ان تقرر سلوكهم فى الحياة رغم انهم لا يرفضون الاعتقاد بالله بصورة قاطعة •

فى هذه الامور الثلاثة ـ انتشار التكنولوجيا والنتائج الاجتماعية المترتبة عليها ، وزيادة النظرة المادية ـ تبرز العوامل العامة التى تؤثر فى حياة المسلمين فى جميع أنحاء افريقيا وتجعلهم يجابهون مشاكل معينة • وسأتعرض فى بقية مقالى هذا الى كيفية معالجة هذه المشاكل ، دون اللجوء على اية حال الى التعرض الى نقاط مفصلة أو الى السياسة الحالية المنتهجة ، بل سأقتصر على عرض سؤالين عامين على المستوى الثقافى هما كيفية وجود نظام اجتماعى جديد قائم على الاسس الاسلامية ثم كيفية الدفاع عن الاعتقاد بالله والوحى فى العالم الحديث •

عند التحدث عن نظام اجتماعى جديد قائم على الاسس الاسلامية ينبغى بالطبع ان نتحدث عن الشريعة ، واننى متيقن هنا باننى استطيع التحدث فقط كمتفرج ، ومع ذلك آمل أن اتمكن من أن أقول شيئا يناسب ظروف المسلمين وهذا الامل يقوم على الحقيقة وهى أن المسيحيين ومعتنقى الديانات الاخرى سيواجهون نفس المشاكل عندما يبحثون عن اقامة نظام اجتماعى عادل على أساس العقيدة بالله •

ان نقطة البداية هنا هى ان الله فرض شريعة ثابتة • وبصورة مشابهة نوعا ما نجد أن معتنقى الديانات الاخرى يرون أن الله قد فرض القيم المعنوية والروحية • انه لمن الاحترام فقط ، للجوهريات أو للمبادىء العامة ان نذكر على أية حال ان الشريعة ثابتة لا تتغير ، فالنقاط التفصيلية أو القواعد المفصلة كانت عادة تتعرض للتغير فى ظروف مختلفة • وهكذا نجد كمبدأ عام أن المصلى يوجه وجهه فى الصلاة نحو مكة ، الا أنه فى مدينة ما عليهم ان يستعملوا طرقا معقولة لاكتشاف اتجاه مكة ، كذلك يلاحظ فى بعض الاماكن انهم يتوجهون نحو الشرق ، وفى أماكن أخرى للغرب وهكذا •

فى بعض الاماكن التى لا يوجد فيها الماء يستطيع المصـــلى أن يتوضأ بالرمل • يبقى هناك مثل مهم آخر وهو يصور حالة المسلم الذى يقضى شهـــور الصيف فى القطب الجنوبى ، ولنفرض أن شهر رمضان كان احدى هذه الاشهر ؛ سيكون من الصعب عليه أن يصوم شهر رمضان بصورة طبيعية لان الشمس لا تشرق ولا تغرب اثناء طيلـــة هذه الفترة • ان المفتى قد اصدر فتوى مستعملة للتصرف فى مثل هذه الظـــروف الغـير الطبيعية •

ان الذى تم طرحه هنا هو عبارة عن امثلة تبين امكانية اختلاف القواعد التفصيلية للشريعة طبقا للظروف • الامور المذكورة هى بسيطة نسبيا ، لكن فى الظروف الراهنة هناك تغيرات مهمة جدا ينبغى وضعها موضع الاعتبار • وكل ذلك كنا قد تعرضنا له من قبل عند انتشار العلم الحديث والتكنولوجيا : سرعة الاتصال ـ سفر ونقل الرسائل بواسطة الراديو والهاتف ـ وتطور الصناعة والتجارة قد أدى الى تغيرات عميقة فى البنية الاجتماعية لكل بلد ، وبسبب هذه التغيرات كانت الحاجة الى اقامة نظام اجتماعى جديد • اذن ، من احد الاعمال الشاقة والبالغة الاهمية امام المسلمين فى الوقت الراهن هو تكوين مجهود ذهنـــى جبار للتمييز بين الجوهريات الثابتة للشريعة والقـــواعد المفصلة التى يمكن أن تتغير • والاسراع فى هذا الامر يمكن أن نصوره بما حصل فى الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر • أثناء الفترة 1860 ـ 1863 أصـدر السلطان العثمانى قوانين بخصوص مواد تجارية وبحرية متعددة • كانت تلك القوانين ضرورية لان الرعايا العثمانيين كانوا على عـلاقة تجارية مع تجـار أوروبا الغربية ، وبالتالى قامـوا ببعض الممارسات التى كانت غـير موجودة فى الشريعة الإسلامية • فالعلماء فى ذلك الوقت ، لم يكونوا على كل حال مستعدين لاعادة النظر فى جوهريات الشريعة من اجل ملاءمة التجارب المعاصرة لهم ، اذ انهم كانوا متصلبين فى نظرتهم ، الامر الذى حدا بالسلطان ان يصدر قوانين جديدة لا تتفق مع الشريعة بهذا الصدد • أضف الى ذلك ان كل هذا مهد الطريق للابتعاد الكامل عن الشريعة فى تركيا على يد (أتاتورك) فى عام 1926 •

ان معظم الدول الاسلامية التقدمية تواجه الآن هذه المشكلة بشكل ودرجة معينين . فالمشكلة الملحة هى أن تتكيف تفاصيل الشريعة مع ظروف الحياة المعاصرة مع عدم اجراء أى تغيير فى الجوهريات • على اية حال نجد ان العلماء فى معظم البلدان هم عبارة عن جهاز محافظ جدا ، وغير راغبين فى اجراء تغييرات سريعة وجذرية ومع ذلك اذا لم يمتثل العلماء لهذا ، فان رجال الدول والقادة السياسيين سيكتشفون مثل السلطان العثمانى طريقة باستصدار التشريعات التى يريدونها ، أى ان ما ذكرته هنا هو اعادة فتح باب الاجتهاد وهو شيء قام المسلمون ببحثه فى القرن الماضى ، اما في غام 1977 فان الامر يصبح مستعجلا أكثر مما كان فى القرن الماضى •

السؤال الثانى هو كيفية الدفاع عن الاعتقاد بالله فى هذا العصر الذى تفشت فيه النظرة المادية وتدعمت من قبل تعليم العلوم الطبيعية وهذا سؤال فى منتهى الاهمية وعليه فاننى فى هذا المقال املك وقتا فقط للتعرف باشارات قليلة لكيفية الاجابة عليه • ان أول شيء اذكره بصورة قاطعة أنه غير صحيح ان العلم الطبيعى يتعارض مع وجود الاله . النجاحات العظيمة للعلوم الطبيعية كانت تتعلق بالاشياء التى يمكن ان تحصى أو تعد ، أو تقاس أو تكمم ، الا أن هذا يسوقنا الى الاستنتاج بأن الاشياء التى تحصى وتقاس هى فقط الحقائق ، اذ انه على النقيض من ذلك ، فالحب الانسانى حقيقة ، وجمال الشكل ولطف السلوك كلها حقائق أيضا • كذلك لا ننكر دور البطولة أو التضحية الذى يقوم به زملاؤك من اجلك • فاذا استطعنا ان نسمى هذه الدائرة بحيز الروح (القوة) ، عندها يكون حيز الروح صحيحا وحقيقة مثل حيز الاشياء المادية •

النقطة الثانية هى الاصرار على أن المعتقد بالله ، بعيد عن رفضه للعلوم الطبيعية ، يقبل جميع « النتائج المضمونة » للعلوم ، لانها تدله على العالم الذى خلقه الله • فالمعتقد يرى أن القدرة الخلاقة للاله ليست مقصورة على لحظة فى الماضى البعيد عند بداية الكون (مثل القضية الاولى للفيلسوف أرسطو) بل انها مستمرة فى كل لحظة فى جميع انحاء الكون • ان القرآن يعلمنا كيف أن كل مرحلة من مراحل نمو الجنين فى الرحم تعود الى قدرة الله الخلاقة • وبنفس الطريقة يجب على المعتقد بالله أن يجد

صعوبة فى اعتقاده بأن جميع المراحل التى تطور فيها الانسان ابتداء من اشكاله الدنيا راجع الى القدرة الخلاقة للاله ٠

ليس لدى الوقت ان أقول أكثر من كلمتين عن الوحى والكتب المنزلة مثل القرآن والانجيل ، وعن المشاكل المتعلقة بهم بالنسبة لاولئك الذين يقبلون « النتائج المضمونة » للعلوم الطبيعية ٠ ففى هذه الكتب يبين الله ذاته ويوضح علاقة الناس به ٠ ان معرفة الناس بالله ليست كاملة لان ذلك مستحيل بالنسبة للانسان ، الا انه يكفى أنه يجعلهم قادرين على السلوك المستقيم فى هذا العالم ٠ ليس الهدف الاساسى للكتب المنزلة هو اعطاء نوع من معلومات عن العالم يكون فى امكان البشر اكتسابها بمجهوداتهم الخاصة (مثال : عن العلوم الطبيعية) مع أنها احيانا تقدم معلومات من هذا النوع ٠ بالاضافة الى هذا ، معرفة الله وعلاقة الانسان به تعود الى حيز الروح ، وفى حيز الروح كان يعبر عن الحقيقة برموز أو اشكال رمزية وذلك للافتقار الى لغة أخرى ٠ مع ان الاشارة الرمزية للامور لا تقلل من حقيقتها ، نجدها فى الحقيقة ضرورية لتوجيه الانسان ٠

في الختام أود أن اشير الى المفكر العلامة الاسلامى العظيم أبو حامد الغزالى ٠ انه عاش فى عصر عندما كان يجب فيه حماية الدين الاسلامى ليس فقط من مجرد النظرة المادية ككثير ممن ادعوا الاسلام ، بل أيضا من وجهات النظر اللامعة الفلسفية والعلمية للناس امثال الفارابى وابن سينا ٠ رغم انه كان يعتقد ان وجهات نظر هؤلاء الناس كانت خطرا على العقيدة ، درس بشجاعة كتبهم ، ثم دحض بعد ذلك اخطاءهم بصورة فعالة فى كتابه « التهافت » لدرجة أن هذه الحركة الفلسفية فنيت ، الا انه استمر بعد ذلك فى اثراء الفكر الاسلامى بواسطة ادخال تلك الاجزاء من افكارهم التى كانت حقيقية وقيمة ٠ المقصود فى هذا المقال بكامله هو التأكيد فى الوقت الحاضر على ضرورة اتخاذ الاشخاص المثقفين والمعتقدين بالله موقفا مشابها لموقف الغزالى ، وعدم خوفهم من التعلم من خصومهم ٠ فى العصر الحالى ، وكما اقترحت سابقا ، نجد أن جميع الاديان الرئيسية تواجه نفس المشاكل ؛ ويؤمل أن تساعد بعضها البعض ٠ وبالتأكيد ، اننى على يقين بأنهم سيجنون الكثير نتيجة للحوار المفتوح الاخوى الذى بواسطته سيتعلمون الكثير بصورة أكثر وضوحا اينما اتفقوا واينما اختلفوا ٠



منظر من القاعة. والملتقى ، كما يرى القارىء ، لم يخل ، مع صرامته ، وعمق أبحاثه ، من المرح ، وخاصة عندما يصعد الشيخ عبد الله المجاهد الشماحي الى المنصة ويجلجل ، ويذكر أسماء جميع العلماء والجهابذة الذين يرجعون كلهم الى أصل زيدى ، أو على الاقل يمنى صنعاني ، أو الشيخ سليمان داود بن يوسف،الذى يرجع كل شيء الى أصل إباضى ، كما كان المرحوم عثمان الكعاك يرجع الكثير الى أصل تونسى !

المسلمون في إفريقيا

بين الحاضر والمستقبل

د . عبد الحليم عويس
أستاذ بكلية الشريعة
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

تقديم :

افريقيا :



افريقيا هذه القارة القديمة الجديدة التي تمثل مساحتها خمس مساحة الكرة الارضية ، بينما لا يزيد عدد سكانها عن مائتين وستين مليونا من البشر .

هذه القارة التي تبلغ هذه المساحة الشاسعة ولا يزيد سكانها عن هذه النسبة التي لا تزيد عن (1) على (12) من النسبة العددية لسكان المعمورة ـ تحفل بمئات من اللغات يقدرها بعضهم بثمانمائة لغة (1) ، بينما يقدرها آخرون بألفي لغة . (2)

---

(1) الدكتور محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات البشرية ص 21

(2) الدكتور فيليب رفلة : الجغرافية السياسية لافريقية ، ص 207 .

أما الاديان والعقائد التى تنتظم افريقيا فهى كثيرة لا تحصر ، وتنتظمها ـ تقريبا ـ كل العقائد التى تسود الارض ، بل ثمة عقائد لا توجد الا فيها ٠

فبدءا من العقائد البدائية كتقديس ظواهر الطبيعة وأرواح الاجداد ، أو تقديس الارواح والاشباح والابطال ٠٠ وانتهاءا بالمسيحية والاسلام ـ تتجاور على امتداد القارة عشرات العقائد ، ولا يبدو خافتا منها الا بعض أديان الهند ، والا اليهودية نظرا لطبيعتها كدين قومى منغلق لا يسعى أصحابه الى انتشاره على النحو الذى تقوم به الاديان الاخرى ٠

ومن بين هذا الخليط من اللغات تعتبر اللغة العربية هى اللغة الاولى فى القارة الافريقية ، حيث يتكلم نحو تسعين مليونا بها ٠

كما أن الاسلام من بين هذا العدد الكبير من العقائد هو الدين الذى يحتل المرتبة الاولى اذ يؤمن به أكثر من (170) مليونا من السكان ٠

عقبات وضعها الاستعمار فى القارة :

لقد أيقن الاستعمار ـ بمنظاره التاريخى ـ أن افريقية هى قارة الاسلام والعربية فى المستقبل ٠٠ وأن الديانة المسيحية واللغة الاوروبية (انجليزية أو فرنسية) اللذين حملهما الى القارة خلال فترة سيطرته عليها ـ ينظر اليهما على أنهما مظهران استعماريان ، وأن القارة الافريقية بعد أن تحصل على استقلالها ـ الذى أيقن بوقوعه ـ لن تلبث أن تتخلص منهما كمظهرين من مظاهر سيطرته ٠٠٠ وبخاصة وأن ما حمله الاستعمار ـ سلوكا ـ يتناقض مع ما يزعم أن النصرانية تحمله الى البشرية ـ فشتان بين أقوال رجال الكنيسة وأفعال رجال السياسة ٠٠ بل انه فى كثير من الاحايين كان يظهر الفرق جليا بين أقوال رجال الكنيسة أنفسهم ٠٠٠ والدور الذى يلعبونه كجهاز يعمل بتنسيق مع وزارة المستعمرات ٠٠ ومـــع المصالح « الاستراتيجية » الاستعمارية ! !

ومن هنا خطط المستعمر لضمان تفكك القارة الافريقية ، وتقسيمها الى وحدات سياسية وجغرافية ٠٠ تمثل أكبر نسبة ـ تقسيمية فى العالم ٠٠ حتى يصبح هـذا التقسيم ـ بحد ذاته ـ عقبة كئودا فى وجه المستقبل الاسلامى والعربى فى القـارة الافريقيـــة ٠

واذا كانت أمريكا قارة واستراليا قارة والصين التى تمثل ربع سكان العـالم وحدة سياسية وجغرافية متكاملة ـ فان افريقيا ـ قد قدر عليها الاستعمار أن تتحول الى أشباه دول ـ تماما مثلما فعل الاستعمار بكل المناطق التى يخـاف انبعـاثها ـ كالخليج العربى مثلا ـ فثمة دول فى افريقيا لا تقترب امكاناتها البشرية والطبيعية من كثير من المدن الانجليزية والامريكية ٠

فأفريقيا الغربية ـ كنموذج نقدمه ـ قسمتها فرنسا منذ وطئتها بأقدامها الى ثمانى دول ٠٠ أصبح كل منها عضوا فى المجموعة الدولية له ما لفرنسا نفسها وعليه ما عليها من تبعات وأعباء مع ما فى هذا من انهاك للامكانات ٠٠ وبعثرة للطاقة ٠٠ وضمان لمستقبل محدود هزيل ٠٠ وهذه الدول التى كانت تشكل افريقيا الغربيـــة هى : « السنغال ، السودان الفرنسى ، غينيا ، فولتا ، ساحل العاج ، داهومى ، النيجر ، موريتانيا » ٠

ويبين الجدول التالى ـ وهو جدول محصور فى الدول ذات الاكثرية الاسلامية (3) ـ هيكل التقسيم السياسى والبشرى والجغرافى الذى أخضـــع الاستعمار الاوروبى القارة الافريقية له ، حتى يحول بينها وبين أن تصير يوما (قارة الاسلام) دينا ولغة وحضـــارة :

---

(3) رجعنا الى اطلس العالم الاسلامى ، وتقويم البلدان الاسلامية ، وعدلنا النسبة وفقا لمعدل النمو السـكانى

دول العالم الاسلامى المستقلة بافريقيا

مسلسل	الـــدولـة	عدد المسلمين	النسبة المئوية لمجموع السكان
1	الجزائـر	15،386000	٪ 98
2	الكامـيرون	3،365000	٪ 55
3	جمهورية وسط افريقيا	902،000	٪ 55
4	تشـــاد	3،400،000	٪ 85
5	داهـومى	1،746000	٪ 60
6	مصـــر	33،387000	٪ 92
7	أثيوبيا	17،289000	٪ 65
8	جامبيـا	327000	٪ 85
9	غينيـا	4047000	٪ 95
10	غينيا بيساو	567000	٪ 70
11	ساحل العاج	2484000	٪ 55
12	ليبيـا	2178000	٪ 100
13	مـــالى	4853000	٪ 90
14	موريتانيـا	1227000	٪ 100
15	مـراكش	16826000	٪ 99
16	النيجـر	3963000	٪ 91
17	نيجـيريا	59820000	٪ 75
18	السنغـال	3819000	٪ 95
19	سيراليـون	1800000	٪ 65
20	الصومـال	3950000	٪ 100

مسلسل	الـــدولـــة	عدد المسلمــين	النسبة المئوية لمجموع السكان
21	الســودان	14375000	٪ 85
22	تانــزانيا	9347000	٪ 65
23	تــوجــو	1166000	٪ 55
24	تــونس	5245000	٪ 95
25	الفولتا العليا	3879000	٪ 56
26	أرتــريا	2،000،000	٪ 80
27	جزر القمر	286000	٪ 95

ويضاف الى هذه الدول ذات الاغلبية الاسلامية ـ ما يربو على ثلاثين مليونا من المسلمين يمثلون أقليات تتناثر هنا وهناك بباقى الدول الافريقية ، ويمكن حصرهم على النحو التالى : (4)

مسلسل	البلـــد	عدد المسلمين	نسبة المسلمين المئوية
1	لبـيريا	770،000	٪ 30
2	غــانــا	2،25000	٪ 30
3	الجابــون	195،000	٪ 40
4	الكونغو برازافيل	140،000	٪ 15
5	أوغنـــدا	2،500،000 تقريبا	٪ 40
6	كينيـــا	1،700،000	٪ 20
7	موزمبيــق	1،750،000	٪ 25
8	ملاجــاش	1،150،000	٪ 20

* * *

(4) انظر الهامش السابق

وكما أخضع الاستعمار القارة لهذا التقسيم الجغرافى والسياسى ـ فانه أخضعها لعديد من المظاهر الشاذة التى تنفرد بها افريقية من بين قارات الارض الاخرى :

● فهناك أكثريات اسلامية فى أكثر من بلد افريقى يتولى أمرها حكام غير مسلمين ، تربوا فى أحضان الكنيسة ، وتغذوا بلبانها ٠

● وهناك شعوب افريقية يوجه سياستها ـ بل ويحكمها فى بعض الاحيان حكما مباشرا ـ أوروبيون ـ أو تلامذة للتبشير وللكنيسة ومعاهد العلم الغربى ٠

● وهناك تفرقة عنصرية تنطلق من تلك النظرية الغربية التى احتلت مكانا بارزا فى الفكر الاوروبى وهى نظرية « سيادة الرجل الابيض » وأفضليته ـ أفضلية جنسية مطلقة ـ على الرجل الاسود ٠

وحول قضية التفرقة العنصرية ـ التى لا تبرز على نحو عملى عميق ـ الا فى القارة الافريقية يقول الرئيس : « أحمد سيكوتورى » ساخرا من أولئك الاوروبيين الذين اندفعوا الى افريقية بمساطر وأقلام يقيسون بها الجماجم والقسمات ، ويقررون بناء على هذه المقاييس الظالمة « أن الرجل الاسود مكانه فى عالم الحيوان بين الشمبانزى والجيبون أى القرود شديدة الشبه بالانسان » ٠

ويبين الرئيس سيكوتورى أن لون البشرة ليس سوى واقع يطابق ظروف البيئة ، ثم يتساءل : هل جميع الابقار لها لون واحد ، وهل تفضل البقرة البيضاء زميلتها الحمراء أو السوداء ؟ والاجابة بالنفى بالتأكيد ٠ (5)

ومع ذلك فالتفرقة العنصرية حقيقة يفرضها الاستعمار على أجزاء متعددة من افريقيا ٠

● وهناك الى جانب هذه المظاهر الثلاثة الشاذة ـ الوضعية الاقتصادية المتخلفة التى فرضها الاستعمار على افريقية ، حين حرم عليها التصنيع وحولها الى بلاد منتجة ومصدرة للمواد الاولية بأرخص الاسعار ـ وهى مستوردة ـ فى الوقت نفسه ـ لهذه

---

(5) د ٠ احمد شبلى موسوعة التاريخ الاسلامى الجزء السادس 683 ٠

المواد نفسها بعد تصنيعها فى أوروبا ـ بأغلى الاسعار (6) : « ومن العجيب أن افريقيا الخصيبة أصبحت فى ظل الاستعمار محتاجة الى المواد الغذائية لتستوردها من الخارج، وذلك لان الجهود اتجهت فى الحقل الزراعى الى انتاج الحاصلات التى تصدر لا الحاصلات التى تستهلك محليا ، وعلى هذا اتسعت مزراع البن والقطن والشاى والكاكاو اتساعا كبيرا ، وترك الافريقيون يعانون نقص الغذاء (٠٠٠) ولا يتمكنون بوسائل حديثة من صيد البحر ٠٠ كما يحرم عليهم صيد البر ، اذ كان الاوروبى فى الغابات التى امتلكها هو القادر وحده على صيد الحيوانات البرية » ٠ (7)

وفى ظل هذا يعتبر الفقر الشديد الذى يصل الى حد المجاعات وما يتبعها من ضعف صحي وانتشار للامراض والاوبئة ـ أحد المظاهر البارزة التى فرضها الاستعمار على افريقية ٠

ويعبر الرئيس « جومو كنياتا » عن هذا الوضع الاقتصادى فى مقاله المنشور ـ فى عدد عام 1970 من كتاب العام للموسوعة البريطانية ٠٠٠ فيقول :

« ان اهداف سياستنا الاساسية أن نهيىء للاغلبية العظمى من شعبنا أرضا يزرعونها وبيوتا يملكونها وأعمالا ثابتة يرتزقون منها ٠ وحين نستطيع أن نفعل ذلك فان الاستقرار يمكن أن يسود القارة » ٠ (8)

● وكما فرض الاستعمار الفقر المدقع فرض الجهل الشديد أيضا ، ولم يسمح الا بحجم ضئيل من الثقافة ربطه بمخططاته وأهدافه ، بحيث يصبح هذا (الشبه مثقف) الافريقى مسخا مشوها مبتور الجذور ٠٠ لا يصلح أوروبيا ، ولا ينتمى الى افريقيا ولا بيئتها ٠٠ لا بالنسبة لواقعها الحاضر ٠٠ ولا بالنسبة لآمالها فى المستقبل ٠

الخطر الاستعمارى الكبير على الاسلام فى افريقية :

وثمة خطر كبير ـ يضاف الى ملامح الصورة التى فرضها الاستعمار على افريقيا ـ يتمثل فى هذه الجيوش التبشيرية الملفعة بأردية « النصرانية » ، والتى يتولى الانفاق

(6) الاستاذ كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية فى افريقيا ص 90
(7) بتصرف من المرجع السابق ص 464
(8) الاستاذ كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية ، ص 91 ٠

عليها ـ سائر الدول الاستعمارية الكبرى ... تلك التى كان لها نفوذ فى القارة ، أو التى تطمع فى أن يكون لها نفوذ .

ان أغنى دولة فى العالم هى الفاتيكان ، وان ميزانية هذه الدويلة التى تمثل مجرد جزء من أجزاء ايطاليا تنفق كلها فى الاغراض التبشيرية . ويوجد تحت تصرف البابا وحده ما يزيد على خمسمائة مليون دولار ، يستطيع الانفاق منها على أى غرض تبشيرى فى بلاد الاسلام . (9)

وتصدر عشرات من الصحف التبشيرية باللغات الحية تباع بثمن رمزى ، وتهدى فى أغلب الاحيان لمن يظن فيهم ضعف الايمان من المسلمين .

ويقدر ما تنفقه الارسالية الانكليزية الاهلية وحدها فى السنة بمليونى جنيه استرلينى ، كما يقدر ما تنفقه الارسالية الامريكية بثلاثة ملايين ... وكلها تنفق تحت اسم « مكافحة الاسلام » ... وناهيك بالانفاقات الحكومية الرسمية فهى تصل الى أرقام خيالية ، وتمتد الى أكثر من مجال ، وتلبس أكثر من قناع .

وقد نشرت المجلة التبشيرية الالمانية أن عدد جيش المبشرين البروتستانت وحدهم (104) آلاف مبشر .

ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعى التوراة وأناجيل المشتركين فى التبشير فهو يقترب من 93،000 ، وعدد المعاهد الكنيسية 16،671 معهدا ابتدائيا ومتوسطا وثانـويا .

ويخضع لسلطة التبشير أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال . كما يخضع لسلطتهم 489 مدرسة لاهوتية متخصصة فى تخريج المبشرين وتدريبهم على أعمال التنصير .

وتحت سلطة التبشير أيضا : 2594 مدرسة ثانوية ، و 83900 مدرسة ابتدائية ، و 1113 روضة أطفال .

---

(9) انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام : محمد الصواف 190

ـ وفى الجانب الطبى والاجتماعى ـ وهو من أهم وسائل التبشير ـ يملك المبشرون 600 مستشفى للرجال والنساء ، و 1050 صيدلية توزع الدواء بالمجان ، و 111 مجلسا طبيا ، و 93 جمعية للممرضات ، و 265 ملجأ للايتام ، و 120 ملجأ للبرص ، ومثلها للصم والبكم ، و 115 مدرسة للمكفوفين ، و 5112 مستوصفا لمدمنى الافيون ، و 85 ملجأ للارامل ٠

* * *

والتبشير يلجأ لكل الاساليب التقليدية والعصرية ٠

فالمدارس والمستشفيات والمعونات الاقتصادية والصحف والاذاعات والكتب والملصقات ٠٠ كل هذه ـ وغيرها ـ يلجأ اليها التبشير ٠

وهو يقوم بعمله فى عدة مستويات مختلفة ٠

فهناك تبشير على مستوى الافراد ٠٠ وهناك تبشير على مستوى الجماعات ٠٠ وهناك تبشير صامت يلجأ الى الكتاب والصحافة وأساليب التشكيك والدس المنسوبين زورا الى العلم ٠ وهناك تبشير آخر خطير يستغل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تمر بها القارة ٠٠ فيقوم بدوره من وراء الكواليس فى شكل اتفاقيات سياسية أو اقتصادية ٠٠ كما يستغل الحقائب الدبلوماسية ٠

والغريب فى وضع التبشير ـ فى افريقيا ـ أنه قد لجأ فى آخر تطوراته الى أسلوبين :

● أسلوب التعاون مع الوثنيات الموجودة فى القارة ٠٠ حتى يتمكن ـ فى المرحلة الاولى من التخلص من الاسلام وهو المنافس القوى ... وبالتالى فهو يتبنى مواقفها السياسية والاجتماعية ويمدها بكل وسائل الدعم ، ويساعدها على انبعاث نعراتها الاقليمية والقومية ولغاتها المحلية ٠٠٠ بل وعاداتها وتقاليدها الوثنية ما بقى منها وما اندثر ٠

● والاسلوب الثانى هو اسلوب التعاون مع اليهود ٠٠٠ وهو تعاون سعى اليه الطرفان معا ٠٠ سعت اليه اسرائيل ٠٠ وسعى اليه التبشير ٠٠ انطلاقا من وحدة الهدف ٠٠٠ الذى هو الاسلام فى افريقيا ٠٠٠ ذلك الاسلام الحركى الذى

كان بالنسبة للأفارقة الوقود الذى يندفعون به باحثين عن وجودهم وحريتهم ··· والحضارة التى يشعرون من خلالها بشخصيتهم واستقلالهم ·

ومع أن بين النصرانية واليهودية حربا تاريخية لم تهدأ الا أخيرا ··· فان المبشرين واليهود يتحدون ـ مرحليا واستراتيجيا ـ ضد الاسلام الذى يوشك أن ينتظم القارة الافريقية كلها ·

«ومن تكرار القول أن تتحدث عن الصلة بين اليهود والنصارى ـ أو بين اسرائيل والاستعمار ـ فى العصر الحديث ـ ذلك لان هذا البحث يعود بنا الى نشأة الدولة اليهودية والظروف التى أحاطت بها ، وهو بحث كثير التشعب ، وليس هنا مجاله على كل حال ، غير أن دور اسرائيل فى افريقيا انما هو امتداد للمهمة التى أوجدها الاستعمار الصليبى من أجلها ، فى الشرق العربى ، وهذه المهمة هى عزل الشعوب العربية فى آسيا عن الشعوب العربية فى افريقيا (10) ·

وفى ذلك ما فيه من اضعاف للكيان العربى فى افريقيا ··· الذى هو وسيلة ايجاد الكيان الاسلامى الافريقى ، وهو المدخل الطبيعى لايجاد افريقيا مسلمة عربية ، تحقق حلم اجدادنا المرابطين من أحفاد عبد الله بن ياسين ، ويوسف بن تاشفين ··· هؤلاء الذين بذلوا دماءهم وأموالهم فى سبيل أن تصبح افريقيا قارة اسلامية ·

* * *

ماذا يريد الغرب من هذه الغارة التبشيرية على العالم الاسلامى ··· وعلى افريقيا بخاصة ؟

ـ ان النصرانية لا وجود لها فى الشارع الغربى ولا فى المصنع أو المعمل أو المحكمة أو البنك ··· وحتى الكنيسة أصبحت مؤسسة اجتماعية تشبه مؤسسات وزارات الشؤون الاجتماعية ··· لقد تركت أوروبا النصرانية منذ قامت نهضتها الصناعية على أساس الشعار القائل : « اشنقوا آخر اقطاعى بأمعاء آخر قسيس » ·

---

(10) انظر : كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية فى افريقيا ص 62

ان الانسان الاوروبى الحديث ··· و « التركيبة » الفكرية والحياتية الاوروبية ـ لا تعطى قضية الدين أى حجم حقيقى فى صياغة الفكر أو الحياة ·

فما معنى هذا الذى يفعله المبشرون فى افريقيا ؟

وهؤلاء المبشرون أنفسهم ليسوا نموذجا لدعواتهم التى يقدمونها الى الناس ··· فكثيرا ما غادر المبشر جمعية الى جمعية أخرى سعيا وراء الكسب المادى ··· والمبشر « وليم بلغرايف » الانكليزى تقلب من البروتيستانتية الى اليسوعية ، ولما استغنى عن اليسوعيين عاد بروتيستانتيا ··· وقد ذكر المفكر (جب) أنه قد ثبت على اليسوعيين أنهم فضحوا فتاتين من طائفة الارتوذكس وأخفوهما حينا ثم أضطروا الى اعادتهما لاهلهما ·· ويهاجم (جب) نظام الاديرة كله ·· ويقول : « ان بعض هذه الاديرة كان مستقرا للفاحشة » · (11)

● فما معنى هذه الجيوش التبشيرية الداعية الى النصرانية فى افريقيا ؟

● أليس الاولى بها أن تدعو الشيوعيين فى المعسكر الشرقى الى العودة الى حظيرة الايمان ؟ (بدل أن تتعاون مع الشيوعيين الملاحدة فى كثير من الاحايين) ·

● أوليس الاولى بها أن تدعو الاوروبيين أنفسهم الى اعطاء الدين حجما أو زاوية مؤثرة فى الحضارة الاوروبية التى يهددها الافلاس الروحى بالدمار ؟

* * *

ان التبشير ـ وهو كما ذكرنا أحد الاخطار الاستعمارية المحدقة بالمسلمين فى افريقيا اليوم ـ ليس دعوة الى النصرانية ... بقدر ما هو ايقاف للزحف الاسلامى وتعكير لصفوه ·· وتأخير ليوم تصبح فيه افريقية قارة اسلامية ·

انه أكبر سلاح يستعمله الاوربيون المستعمرون اليوم فى هذه القارة للحيلولة دون تقدم القارة علميا أو اقتصاديا أو سياسيا ·

انهم يقدمون النصرانية كبش فداء ·· ليس حبا فيها ·· ولكن لانها الدين الذى يملكونه ··· والذى يمكن أن يقف قليلا ـ أمام الزحف الاسلامى ·

---

(11) التبشير والاستعمار : د · عمر فروخ ، ص : 35 ، 36 ·

● ان المرء ليضحك وهو يتذكر أن « اللورد اللبنى » الذى كان قائـد الفيالق الانجليزية للقدس وصاحب الكلمة المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » كان عضوا كبيرا فى جمعية الحادية ٠

● وايطاليا التى ناصبت الكنيسة العداء ، وحجزت البابا فى الفاتيكان ، كانت تبنى سياستها كلها على جهود المبشرين والرهبان ٠٠ والذين زاروا ايطاليا يعرفون أنه على مقربة من الفاتيكان وحوله من الجهات الاربع تعيش ايطاليا حياة انحلالية بوهيمية لامكان للدين فيها ٠

● وأكثر مدعاة للدهشة من هذين المثالين موقف « ستالين » (زعيم الشيوعية الدولية) حين دعـى الى مجمع مسكونى فى موسكو ٠٠ وقد شرف ستالين نفســه المؤتمرين بمقابلته ٠

● وفى الجزائر المجاهدة ٠٠ جزائر المليون ونصف مليون شهيد ـ كانت فرنسا تترجم عن عقلية صليبية حاقدة ضج منها الضمير العالمى (12) ٠٠ ومـع ذلك فليس للدين حجم حقيقى فى داخل فرنسا

ـ فما معنى هذا كله ؟

ـ هل النصرانية مجرد بضاعة للتصدير ؟

ـ نعم انها لكذلك فعلا ٠

ـ انها مجن واق من أخطار الزحف الاسلامى ٠

ـ انها ستار يراد منه أن يمنع شمس الاسلام من الظهور ٠

ـ انها تراث حضارى يرشح للوقوف فى وجه تراث الاسلام وحضارته ٠

ـ انها ـ فى أقل حالاتها ـ صورة (دين) يمكن أن يحارب بها (دين) آخر ٠٠ حيث ثبت ـ تاريخيا ـ أنه لا يقف أمام الدين الا الدين ـ ولا يفل الحديد الا الحديد ٠٠ والبقاء للاصلح فى نهاية المطاف ٠

---

(12) التبشير والاستعمار ، ص : 35 ، 36 ٠

ـ ولمزيد من الوضوح حول دور التبشير التخريبى فى افريقيا « وهو الدور الوحيد الذى رسم له » دعنا نسرد هذا الحوار الطريف الذى دار بين « لويس لومكس » الصحافى الامريكى ـ فى كتابه (الافريقى النافر) ـ وبين « سيلونديكا » عضو اللجنة التنفيذية للحزب الديمقراطى فى روديسيا الجنوبية سابقا ٠

ـ سأله الصحافى الامريكى قائلا :

هناك تقارير منتظمة تؤكد أن المسيحية تنحسر عن افريقيا ٠٠ هل هذا صحيح ؟

ـ الزعيم الافريقى : نعم صحيح ٠٠ فالكنيسة لم تلعب دورا سليما فى الشؤون الافريقية ٠٠ لقد وقفت ضدنا الى جانب هؤلاء الذين استعبدونا ٠٠ انها اليوم تقف على قدمها الاخيرة فى افريقيا ٠

ـ الصحافى الامريكى : هل أنت مسيحى ؟

ـ الزعيم الافريقى : نعم أنا كاثوليكى تعلمت فى كلية « ماريان » فى ناتال بجنوب افريقيا ٠٠ وأنا طبعا لم أنضم للكنيسة لدوافع سياسية بل عن اعتقاد روحى ٠٠ ورغم ذلك شعرت بأن الكنيسة خذلتنى ٠٠ ان الاسلام سينصر فى افريقيا ، وبالرغم من أننى كاثوليكى الا أننى لا أستطيع أن أقول مخلصا : اننى آسف لتطور الاحداث (لصالح الاسلام) ٠٠ اننى أفهم أن الدين يشكل جانبا حاسما من قيم الانسان ، ومن ثم ٠٠ يدفعه الى الحرية ٠٠ وهذا ما فشلت فيه الكنيسة ٠٠ لقد أعطتنا كل شىء ما عدا الحرية (13) ٠

ان التبشير ـ كما نرى من هذا الحديث الواضح ـ ليس أكثر من واجهة مزيفة من تلك الواجهات الكثيرة التى يخفى بها الاستعمار مخالبه الحقيقية وأطماعه ٠ وهو بهذا خطر حقيقى كبير بالنسبة لمستقبل افريقيا المتحررة ٠٠ وبالنسبة لمستقبل من يهمهم أمر الاسلام والتعريب فى هذه القارة العذراء ٠

(13) نقلا عن الغزو الفكرى لمحمد جلال كشك ص 40 . وانظر حقيقة التبشير وجذوره التاريخية ، مقال بمجلة التضامن الاسلامى عدد اكتوبر 1975 لعبد الحليم عويسى ٠

اليهود فى افريقيا :

ولئن كان التبشير النصرانى فى افريقيا يشكل جزءا من ملامح الصورة القائمة التى تعكر صفو (الاسلام فى افريقيا اليوم) ـ فان اليهود يشكلون بعدا آخر من أبعاد الجزء القائم فى الصورة ٠

وبعد استقلال كثير من الدول الافريقية ذهبت اسرائيل تعرض خبرة اليهود فى العالم وأموالهم لمساعدة هذه الدول ٠

واليهود ـ عن طريق العلاقات السياسية والتجارية واستغلال الاعلام والدبلوماسية المرنة ـ يحققون أغراضهم فى كسب بعض الحكام الافارقة ، لدرجة أن جريدة نيجيرية كتبت بتاريخ 13 أكتوبر 1962 تقول بأن أية دولة فى الشرق أو افريقية لا تستطيع مساعدة نيجيريا ما عدا اسرائيل ٠

وثمة تعاون قائم بين اسرائيل وبعض الحكام الافارقة ـ ان لم يكن بشكل سافر سياسى أو اعلامى أو عسكرى أو ثقافى ـ فهو بشكل سرى ، وبخاصة فى المجالات التجارية والثقافية ٠ ولئن كانت بعض الدول الافريقية قد غيرت موقفها من اسرائيل بعد ظهور طابعها الاستعمارى وهزيمتها فى حرب رمضان 1963 هـ ـ فان دولا أخرى لا تزال تربط نفسها باسرائيل ٠٠ ومنها أثيوبيا وغانا وروديسيا وتنزانيا ٠٠٠ واسرائيل تستغل الوضع الاقتصادى الافريقى المتخلف ، وتقوم بتعليب كثير من اللحوم والفواكه وغيرها من المواد الافريقية الخام كما تستورد الخشب والماس ومواد السماد ٠ « ولقد اهتم الاسرائيليون اهتماما خاصا باقامة الفنادق وأماكن اللهو وسيطروا عليها اداريا ، وسخروها لاغراضهم السياسية والاقتصادية ، وكان يختفى وراء مظهرهم البرىء شر أنواع النشاط السرى المخرب » . (14)

ان اسرائيل لن تترك افريقيا للعرب والاسلام بسهولة ٠ كما أن المد الحضارى لا ينتشر بالعواطف والمجاملات ٠ وبالتالى فيجب أن نخطط بجدية وسخاء لضمان انقاذ افريقيا من اليهود والصهيونية ، وسيرها فى ركاب حضارة الاسلام ٠

---

(14) كامل الشريف المغامرة الاسرائيلية على افريقيا ص 116 ، 117 ٠

الشيـوعية فى افـريقيا :

تمثل الشيوعية خطرا داهما بالنسبة للاسلام فى افريقيا ـ يسىء الى ملامح صورة الاسلام فى افريقيا اليوم ٠

فافريقية المسلمة ٠٠ قارة المستقبل الاسلامى ٠٠ تغزوها الشيوعية فى بعض أركانها ، وذلك حين يبدو أن التبشير لن يستطيع الصمود أمام الاسلام ، وحين يبدو أن النفوذ اليهودى لا يستطيع القيام بالغرض ٠ وان ما حدث فى أثيوبيا ـ بعد « هيلاسلاسى » الذى لم يتمكن من عمل كل شىء وبخاصة القضاء على مسلمى أرتريا ـ لدليل ناصع على أن الشيوعية هى البديل الثالث الذى يتقدم به اليهود والتبشير ، حين يبدو لهم أن الطريق للقضاء على الاسلام مسدود . ولسنا نفصـل ما جرى فى الصومال عما جرى فى أثيوبيا ، كما لا نفصل ما جرى فى تانزانيا (زنجبار وتنجانيقا) حين قتل عشرات الآلاف من العـرب والمسلمين ـ باسم التقدمية الشيوعية (15) ـ واعترف باسرائيل ودعيت « جولدا مائير » لزيارة تنزانيا ـ لسنا نفصل كل ذلك عن حقيقة الدور الذى تلعبه الشيوعية فى افريقيا ٠

وانه لمدعاة للتساؤل أن يكون أكثر الزعماء الشيوعيين الذين ظهروا فى افريقيا ذوى علاقة طيبة باسرائيل ٠ وكان أكثرهم ينظر الى اسرائيل على أنها تجربة تقدمية (16) يجب أن يحتذى بها ٠ والنظر الى انتصارها على العرب على أنه انتصار للتقدمية عـلى الرجعيـة ٠

فالشيوعية عائق من عوائق المد الاسلامى فى افريقيا ، وهى عنصر من ملامح الجزء القاتم الذى يعكر صفو الاسلام فى افريقيا اليوم ٠

مكانة اللغة العربية فى افريقيا اليوم :

تختلف الوضعية الافريقية الشعبية عن الوضعية الافريقية الرسمية أو الوضعية التى يريد التبشير واليهود أن يصلوا اليها ٠

---

(15) أنظر محمود شاكر : تانزانيا ، ص 34 ٠
(16) أنظر كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية ص 94 وما بعدها ٠

فالحقيقة أن القاعدة الشعبية فى افريقيا لا زالت الى حد كبير ٠٠ تنتمى الى العربية لغة وفكرا ٠٠ والى الاسلام دينا وحضارة ٠

واذا ما استثنينا البلدان العربية الافريقية (مصر والسودان والجزائر والمغرب وليبيا وتونس والصومال وموريتانيا) نظرا لان العربية هى اللغة الرسمية فيها ـ فان بقية البلدان الافريقية ـ وبخاصة الاسلامية منها ـ تعتبر اللغة العربية لغتها الدينية والفكرية والحضارية على الاقل ، على المستوى الشعبى ٠

● ففى الحبشة ، حيث يمثل المسلمون 65 ٪ ، وفى أرتريا ، حيث يمثل المسلمون 80 ٪ نستطيع أن نقول : ان اللغة العربية هناك احدى اللغات المعروفة لاغلب السكان ويمكن التعامل بها فى الاسواق ، فضلا عن دور العلم والمساجد ٠ وعند مقارنة اللغة « التجرينية » المستعملة فى أرتريا كلغة محلية ، سوف نكتشف أنها اقتبست كثيرا اللغة العربية ، حتى أن الاعداد المستعملة فيهما تبدو وكأنها شىء واحد (17) ٠

● وفى كينية حيث العراقة الافريقية الاصيلة ، وحيث تسود اللغة الساحلية وتجاورها لغات كثيرة تزيد على سبعين لغة ، فلكل قبيلة لغة خاصة تشبه اللهجة ، ومع ذلك فان العربية تحتل مكانا بارزا بحيث ان اللغة الساحلية هذه تعتمد فى حوالى خمسين بالمئة من كلماتها على العربية اما أصلا ، واما اشتقاقا ٠ ولهذا فلم يكن غريبا أن تقر وزارة المعارف الكينية مؤخرا تدريس اللغة العربية رسميا بمدارس الساحل الكينى ، كما أنها أقرت اختيار الطلاب رسميا فى مادة الدين ٠ وقد أبدت استعدادها لقبول أكبر عدد ممكن من المدرسين للغة العربية والدين الاسلامى ، شريطة أن تتكفل الحكومات العربية بالتكاليف والمرتبات (على نحو ما يفعل المبشرون) (18) ٠

● وفى أوغندا يتكلم الناس لغة ساحلية خاصة بهم تختلف عن ساحلية كينيا ، وهى مزيج من لهجات « البانتو » مع اللغة العربية (19) ٠

(17) راجع محمد العبودى : فى افريقية الخضراء ص 91 وما بعدها ـ وأنظر ص 158 وص 182 وص 183 (عن العربية فى الحبشة) ٠

(18) المرجع السابق ، ص 212 ٠

(19) أنظر تقرير رابطة العالم الاسلامى بالمملكة العربية السعودية المنشور بالصحف المحلية (عن كينيا) فى السعودية ٠

ومع أنها ساحلية أوغندية خاصة ، فانها تكتب بالابجدية العربية ، مما يدل على التأثير القوى للغة العربية فى أوغندا ، هذا فضلا عن أن المسلمين فى أوغندا (وهم قريبا سيشكلون الاغلبية السكانية ان شاء الله ــ نظرا للمد الاسلامى على عهد الرئيس « عيدى أمين ») ــ يحرصون جميعا على تعلم اللغة العربية (20) ٠

وهكذا ــ نستطيع القول (من خلال هذه النماذج) : ان للغة العربية أرضية كبيرة فى افريقية منذ دخلت فى ركاب الدعاة والتجار المسلمين ، وأصبحت لغة الادب والعلم والتعامل ، ويكفى ــ فى نهاية حديثنا عن اللغة العربية فى افريقيا ــ ان ندلل على عمق مكانة هذه اللغة ، فنذكر ان أهم المراجع التاريخية « كأضابير اشانتى » « وكانو » فى افريقية الغربية ، ومحفوظات « كلوة » فى افريقيا الشرقية أكثرها باللغة العربية ، حتى قال بعض الكتاب الاوربيين معبرا عن مدى ارتباط افريقية بالعربية لغة وحضارة : « اننا اذا نزعنا الوثائق التاريخية المكتوبة باللغة العربية لا يبقى ثمة تاريخ يعتد به لافريقيا السوداء » ٠ وقد قال أحد وزراء زنجبار فى ذلك : « يكفى للتدليل على مكانة لغة العرب بالنسبة لافريقيا أن نعلم أنه لا يوجد فى اللغة السواحلية كلمة مرادفة لكلمة تحضير أو تمدين سوى كلمة « تعريب » ، فاذا أردنا أن نتحدث عن مشروع لتطوير قرية زراعية قلنا : « تعريب تلك القرية » ٠

وهذه الكلمة الواحدة تصلح نافذة عريضة على تاريخ مجيد طويل (21) ٠

انه تاريخ علاقة افريقيا بالعرب حضارة ولغة ومصيرا ودينا !!

الاسلام فى افريقيا اليوم :

ليس ثمة شك فى أن الاسلام فى افريقية يعيش اليوم بين مد وجزر ٠٠ أو بتعبير آخر : بين (محنة ومنحة) ٠

(ومحنة الاسلام) فى افريقيا تتركز فى عدة مواطن منها :

---

(20) أنظر محمود شاكر : أوغندا ص 48 ٠

(21) أنظر (بتصرف) كامل الشريف : المغامرة الاسرائيلية ، فى افريقيا ص 170 وما بعدها ٠

أولا : فى جنوب السودان ٠٠ فهذا المدخل الطبيعى الذى كان بالامكان أن يصبح احدى بوابات الاسلام الى افريقيا ـ قد أصبح **مرتعا** لنفوذ المبشرين ، وللموالين لهم ممن يجاورون السودان ٠

فبعد الاتفاق الذى تم بين الشمال والجنوب فى مؤتمر « أديس أبابا » الذى عقد فى مارس 1972 م باشراف المنظمات الكنسية والفاتيكان ـ فتح الباب على مصراعيه للمبشرين ٠ ويقينى الجازم أن المبشرين سيتمكنون من اقامة دولة مسيحية فى جنوب السودان تكون احدى منطلقاتهم لقلب افريقيا ـ وذلك ما لم ينهض العرب لرد هذا الخطـــر ٠

كما أن التبشير قد نجح من وراء هذه الاتفاقية فى قهر الحركات الاسلامية فى أرتريا وتشاد ٠٠ فهاتان الثورتان تعيشان منذ الاتفاقية مرحلة اختناق حاد مرير ٠

ثانيا : فى الصومال ٠٠ حين وقع الانقلاب العسكرى الشيوعى فى 21 أكتوبر 1969 ٠ ولم يكد يمر عام حتى أعلن قائد الانقلاب « محمد زياد برى » فى عيد الانقلاب الاول ـ اعتناقه وحكومته للمبدأ الماركسى اللينينى ٠ وتفسير الاسلام تفسيرا ماركسيا واخضاع عقيدة الاسلام وأصول شريعته لما يتلاءم مع أفكار ماركس ولينين ، وتبع ذلك تنظيمات ومعاهد كل همها انشاء شبيبة شيوعية ترفض الاسلام وتعلن الحرب عليه ـ كما أصدرت الحكومة مرسوما فى سنة 1972 م يقضى بهدم كل المدارس القرآنية . واستمر الحال على هذا المنوال ٠٠ حيث تزحف الشيوعية فى كل يوم على أجساد مئات العلماء وآلاف المجاهدين ـ مستعملة أبشع وسائل التنكيل التى عرفها التاريخ ٠

وكما هو المتوقع فان الحكومة الشيوعية فى الصومال تعوق ـ من جانبها وفى حدود تأثيرها ـ كل مد اسلامى الى افريقيا ٠٠ وتتبنى بديلا عنه كل ما هو ماركسى ويخدم مصالح أصحاب العقيدة الماركسية ٠ واننى من جراء هذا ـ لاعتقد بأن الماركسية ، هى الخط الاول الآن لتحقيق كل أهداف الصهيونية والتبشير ، وهى الممهد الحقيقى لاستيلائهما على أرض الاسلام ـ لا قدر الله ٠

ثالثـا : في تنزانيا

فمنذ وقع انقلاب 1964 م وخلع السيد « جلمشيد بن عبد الله » ·· ومنذ قتل في ساعات محدودة (ستة عشر ألف عربى) ، كما لقى سائر المسلمين شتى أنـواع التعذيب ، ولقى (54) ألفا حتفهم ·

منذ هذا اليوم الذى تبعـــه زوال شخصية بلد اســلامى عزيز هو « زنجبـار » ـ حرسها الله ـ أصبحت كلمة الاسلام ـ وأصبح العرب واللغة العربية ـ جـرائم يحاسب عليها القانون ·· والمجال لا يتسع لتتبع صور اضطهاد الاسلام والعروبة فى تنــزانيـــا ·

رابعـا : فى تشـــاد

وفى تشاد حيث تصل نسبة المسلمين فى بعض المصادر الى 92 ٪ ـ (وليس لهم فى الحكم الا 20 ٪ فقط من المقاعد الوزارية) تتعرض الجماهير المؤمنة ـ والشخصيات الاسلامية ـ لاضطهادات متلاحقة ، كمـا يتعرض المسلمون جميعا لضغوط الضرائب والاعتقالات والحرمان من الحقوق السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية ·

وقد فشلت انتفاضة المسلمين ضد أنواع المظالم المحدقة بهم **فى سنة 1965 م** ، فكانت انتفاضتهم الفاشلة بابا جديدا فتح عليهم أبواب التنكيل والتعذيب ، لدرجة استجلاب قوات فرنسية لابادتهم ، مع ملاحظة أن نسبة الحاكمين المسيحيين لا تعـدو (4 ٪) من السكان ·

والشعب التشادى المسلم بقيادة جبهة التحرير الوطنى التشادى التى تأسست سنة 1966 م · لا زال يكافح لاعادة الاوضاع الى نصابها ـ وفقا لما يتشدق به المسيحيون كذبا ـ حول حقوق الناس والاغلبية فى الديمقراطية والحرية والوصول الى الحكم ·

لكن الحقيقة الثابتة أن الديمقراطية يحاربها النصارى أنفسهم اذا كانت لمصلحة الاســـلام ! !

خامسا : أما أثيوبيا ··· ومأساة المسلمين فى أرتريا ···

فالمسلمون ــ هناك ــ محرومون من أبسط الحقوق الانسانية · فبقرارات رسمية يمنع دخول المدرسين المسلمين الى أثيوبيا وأرتريا ، وتفرض رسوم جمركية عالية على الكتب الاسلامية ، ويلاحق الاسلاميون لاسلامهم ويزج بهم فى السجون ، ولا يعترف لهم بشهاداتهم التى حصلوا عليها من المدارس الاسلامية ·

وقد ألغيت اللغة العربية ·· فى المدارس ·· وفى المصالح والمؤسسات الحكومية وتلجأ الحكومة الى بث جاسوسية محكمة حول المسلمين ، والشخصيات الاسلامية المثقفة ·· سواء من هم من الوطنيين أو من هم من الوافدين · لضمان وأدها للاسلام واللغة العربية ·· كما أنها تحرص حرصا شديدا على ابعاد المسلمين عن الدوائر الحكومية ، وتشجع « البغايا » على الهجرة والانتشار فى المدن الاسلامية على امتداد أيثيوبيا وأرتريا ·· بل ان الحكومة لترفض مجرد اقامة علاقات دبلوماسية مع الدول التى تشعر بتمسكها بالاسلام ، وترفض السماح للطلاب الارتريين والاثيوبيين بقبول المنح التى تقدم لهم من بعض الدول الاسلامية ، وتبذل ــ الى جانب ذلك ــ تسهيلات ضخمة لكل الحركات المعادية للاسلام شيوعية أو صهيونية أو تبشيرية ، كما أنها تفرض على المسلمين الجهل والفقر والمرض ·

● وهناك محن أخرى كثيرة تحيط بالمسلمين الافارقة ·· لكننا لسنا بسبيل الحصر ·· وحسبنا هذا من صور التحدى للاسلام فى افريقيا المجاهدة ·

* * *

بيد أن هناك (منحا) كثيرة ، ونوافذ فسيحة للامل فى اسلامية افريقية · فان الاستعمار والتبشير باسلوبهما الهمجى قد ساعدا المد الاسلامى من حيث لا يشعرون ، كما أن الشعوب الافريقية قد بدأت تعرف حقيقة الماركسية والصهيونية وأسلوب الحياة فى ظلالهما ، وحقيقة أطماعهما · وقد ساعد على ذلك سقوط أسطورة اسرائيل التى لا تقهر فى حرب رمضان 1393 هـ ·

● ان كينيا قد بدأت سياسيتها تميل نحو الاعتدال ، فيما يتعلق بالحقـــوق الاسلامية ٠٠ وهذا مكسب ممتاز ٠

● وقد أصبح المجال لنشر الاسلام فى أوغندا فى أحسن صوره الممكنة ، وحبذا لو استغلته الدول العربية المهتمة بالاسلام ٠

● والسنغال قد بدأت تأخذ موقفا معتدلا أيضا من القضايا الاسلامية ٠

وقد عقد فى عاصمتها داكار ـ بتسهيلات كبيرة من حكومة السنغال ـ مؤتمـر رابطة العالم الاسلامى الافريقى الثانى (محرم 1397 هـ) الذى انبثق عنه تكوين مجلس التنسيق الاسلامى الافريقى ٠

وقد تكرمت حكومة السنغال فمنحت أعضاء رابطة العالم الاسلامى كل الامتيازات والحصانات الدبلوماسية ٠

● وجمهورية افريقيا الوسطى قد أعلن رئيسها « بوكاسا » وابنه ، وفريق من وزرائه ، وستون من كبار الشخصيات اسلامهم ، ففتح الباب للاسلام فى هذه الجمهورية الفتيـــة ٠

● ومثل افريقية الوسطى : الجابون ٠٠ التى أسلم رئيسها وأدى فريضة الحج ٠

● ويجب أن لا نغفل من ملامح الصورة أن بعض الدول الافريقية التى حصلت على استقلالها قد أفادت الاسلام ولغة القرآن ٠ وأكبر مثل على ذلك هو الجزائر المسلمة العربية ٠٠٠ جزائر عبد الحميد بن باديس التى نتمنى أن تلعب دورا قياديا فى الدعوة الى الاسلام وفى نشر اللغة العربية فى افريقيا ٠

* * *

● كما أن من الواجب ـ احقاقا للحق ـ أن نذكر بالخير الجهود التى قامت بهـا حكومة الجمهورية العربية الليبية فى مساندة مسلمى افريقيا والمدافعة عن قضاياهم ٠

ـ فهذه النواحى ـ وغيرها ـ نشكل الجزء الكبير المشرق ، الممهد لجعل افريقيا قارة اسلامية عربية بأذن الله ٠

مستقبل الاسلام فى افريقيا :

من بين عوامل الايجاب والسلب المتضاربة ··· ومن خلال ملامح الصورة بشطريها الابيض والداكن ··· ووسط تراث حضارى أصيل أعطى افريقيا لونها الاسلامى على امتداد القرون التى سبقت مرحلة الاستعمار الاوروبى ·

من بين كل هذا ـ وعبورا من تراث الماضى الى آلام الحاضر وآفاق المستقبل ـ نستطيع القول بموضوعية محايدة :

ان مستقبل القارة الافريقية هو مستقبل اسلامى يتكىء على العربية لغة وفكرا ·· ويستمد من الاسلام عقيدة وشريعة وحضارة منطلقاته ، ومناهج نضاله ، ومعالم مستقبله الحضارى المتميز الاصيل ·

ـ ولعل من حسن حظنا نحن الذين سنعبر ـ ان شاء الله ـ عتبات القرن الخامس عشر للهجرة ·· وربما عتبات القرن الحادى والعشرين للميلاد ·

لعله من حسن حظنا أننا ذلك الجيل الذى سيودع عصر الدكتاتورية الفردية المستبدة الطاغية فى عصر الثورة التكنولوجية ·

لقد آن للتاريخ أن يدور دورة أخرى يكون للشعوب فيها الدور الحقيقى البطولى ، وتنتهى مرحلة الطغاة الذين تعودوا أن يقودوا مئات الملايين بقرار أو بشعار ···

ـ ان مرحلة الغوغائية واستعباد الطغاة للشعوب سوف تنتهى ·

ـ هكذا يقول معلمنا التاريخ · وقد بدأ جليدها يذوب فى جناحى المعسكر الالحادى اثر سقوط بعض الطغاة ·

ـ وعندما يقف التاريخ على باب منعطفه الجديد ـ فان شعوب افريقيا ـ وليس عملاء الاستعمار التبشيرى ، وليس عملاء الشيوعية ، وليس عملاء اليهودية ·

ان شعوب افريقيا وحدها وليس كل هؤلاء هم الذين سيقررون مصير هذه القارة المجاهدة العذراء ·

وبالتأكيد فان الفطرة الافريقية المنبثقة من أعماق التراب والتاريخ لـن ترضى بغير الاسلام بديلا ·· **فماضى** الاسلام فى افريقيا هو حضارتها التى تزهو بها ·· وما أسدى الاسلام لها غير الخير ·· وما كان دعاته غير مجاهدين يتوجهون بعملهم **لوجه الله ، ولم يكونوا يوما ما مستعمرين مستغلين** ··· وأما **حاضر** الاسلام فى افريقيا ··· فهو كحاضر الاسلام فى كل بلدان الاسلام ، حيث يتعرض هذا الدين ـ كما ذكرنا ـ لهجمة استعمارية شرسة ، نظرا لانه الدين المرشح لقيادة حضارة المستقبـل ··· وأما **المستقبل** ، فلا يمكن أن يكون أوروبيا أو نصرانيا ··· فتاريخ افريقيا مـع أوروبا أو النصرانية لا يسمح باقامة روابط حقيقية ·

على اننا نحن العرب الافريقيين المسلمين ·· ونحن المسلمين فى كل مكان يجب أن نساعد التاريخ على السير بافريقيا الى شاطىء المستقبل الاسلامى ·· فالتاريخ البشرى لا يتحرك آليا أو عفويا ، وهو لا يسير باطراد فى اتجاه الاصلح ، اذا لـم يساعده الصالحون فى الارض ·

وانى أقدم للقيام بهذا الواجب المقترحات الآتية :

1 ـ توجيه اذاعة لافريقيا فى كل بلـد عربى مسلم ، تتكلم اللغة الشائعة مع الاقتراب ما أمكن من العربية ، ومع ضرورة ايصالها واضحة لاعماق افريقيا ·

2 ـ اقامة سفارات وعلاقات ثقافية واقتصادية طيبة مع البلدان الافريقية كلها ، ولو كان ذلك على حساب بعض التجاوزات عن الآراء السياسية المرحلية ·

3 ـ تبليغ صوت المسلمين الافارقة الى العالم ، وتبنى قضاياهـم وحقوقهـم الانسانية فى تعلم دينهم ولغتهم العربية ، والوقوف ضد الدول التى تحرمهم مـن هذه الحقوق (فمثلا ·· حكومة أثيوبيا تحرمهم من اقامة المدارس الاسلامية ومـن تعلم الدين الاسلامى ·· وتعتبر ذلك عملا غير مشروع ! !) ·

4 ـ رصد ميزانية خاصة للمعونة الاقتصادية لمسلمى افريقيا ، وذلك لمساعدتهم على اقامة مساجد ومدارس ومستشفيات ودور لرعاية المعوزين والعاجزين واليتامى والارامل حتى يتمكنوا من الاستغناء عن مساعدات التبشير المسيحى ، ومن القضاء على

الموبقات الاخلاقية التى يدفع اليها الفقر (فالزنا فى أرتريا ـ مثلا ـ علنى ·· حيث يجلس النسوة فى مصوع أمام البيوت، وينمن بالليل أمامها فى انتظار الساقطين (22))

5 ـ مناشدة الحكومات الاسلامية فى البلدان العربية الافريقية بمنع الزنا والخمور ـ منعا رسميا ـ وعدم التصريح بقانونية هاتين الجريمتين ·· حتى تكون هذه الدول مثلا حيا لافريقيا المسلمة غير العربية ·· فالحقيقة أن الفساد الاخلاقى من الوسائل التى يعتمد عليها التبشير فى الصهيونية **والشيوعية** فى استعباد الشعوب وقهرها ·

6 ـ استغلال الظروف المتاحة ـ ولو مرحليا ـ أحسن استغلال لتوطيد أركان الاسلام والعربية فى بعض البلدان الافريقية التى تقيم علاقات قوية هذه الايام مع العالم العربى ·· كأوغندا والجابون والسنغال وتشاد ونيجيريا وجمهورية افريقيا الوسطى ·· وغيرها ·

7 ـ العمل على اذابة الفوارق بين المذاهب الاسلامية المعترف بها ، واجلاء وحدة الدين الاسلامى فى أصوله ··· ففى بعض البلدان الافريقية تنتشر ـ للاسف الشديد ـ موجة التعصب المذهبى لدرجة أن بعض الطوائف تخصص مساجد لها فتكتب على المسجد مثلا : (مسجد الشافعية ، أو مسجد الحنفية) وهكذا ·· ! !

8 ـ نشر الاسلام الصحيح والثقافة الاسلامية الاصيلة ـ بالكتب والاساتذة ، وبالنشرات والدوريات بلغات افريقيا ـ فالمسلمون الافارقة فى أغلبهم جهلة لا يعرفون أبجديات الاسلام ، بل بعضهم يخلط بين الاسلام والمسيحية ، حتى فى الاسم ، فيتسمون : « هنرى محمد ، وجيمس على » بل ان بعض الاطفال المسلمين والشيوخ لا يعرفون معنى الاسلام ، ولا يعرفون أنهم مسلمون · وبعض المدارس الافريقية الاسلامية تخلو من مدرس واحد للاسلام أو العربية ، كما أن بعضها أغلق بعد بنائه لعدم وجود المدرسين المتخصصين فى الاسلام والعربية ·

9 ـ دراسة اللغات الافريقية واللغتين الانجليزية والفرنسية فى المعاهد والجامعات الاسلامية ، وبخاصة معاهد اعداد الدعاة ·

---

(22) أنظر : محمد العبودى : فى افريقية الخضراء ص 82 وانظر ص 87 ، ص 172 ·

10 ـ مساواة الماركسية بالصهيونية والتبشير ، واعلان الحرب على كل هــذه المبادىء الهدامة التى تحارب الاسلام فى افريقيا « فالكفر ملة واحدة » · وقد فعلت الماركسية بالاسلام فى أثيوبيا والصومال وتنزانيا وغيرها ما لم يجرؤ الاستعمار على فعله · وقد أوقف الشيوعيون المد الاسلامى فى كل بلد افريقى سيطروا عليه ·

11 ـ ولا نستطيع أن نخفى أن حركة القومية العربية كفكرة عنصرية متخلية عن الاسلام ، قد أساءت كثيرا الى الصورة الاسلامية فى افريقيا · وبالتالى فالولاء للاسلام وللمستقبل الاسلامى لافريقيا يقتضى التخلى عن هذه النعرة الجاهلية ·

12 ـ وأخيرا ··· فان أوضاع العالم العربى والاسلامى ، والخلافات السياسية والفكرية القائمة بين بعض حكوماته ، وتخلى كثير من القيادات عن الاســلام منهجا ورسالة الى البشرية ، والاعتماد على الفكر المادى أو العلمانى أو القومى ··· فضلا عن انحطاط المستوى الفكرى والخلقى والاقتصادى والسياسى داخــل المجتمعــات الاسلامية ·

كل هذا لعب دورا فى زحف الاخطار المضادة للاسلام على افريقيا وفى بطء التقدم الاسلامى ·· اذ أن فاقد الشىء لا يستطيع أن يعطيه ·· وتقديم النموذج العلــمى لا يقل عن الاستيعاب النظرى ·

وان واجبنا نحن المخلصين لقضية الاســلام أن نناشد القيادات العربيــة والاسلامية فى أن تتجه الى الاسلام داخليا وخارجيا · ففى ذلك ازدهارنا داخليـا ، وتقديمنا النموذج الصالح الملائم لمبادىء لديننا خارجيا ··· وصدق القرآن :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنــون باللــه » · (23)

---

(23) آل عمران ١١٠ ·

● هذا طريقنا ...

● ورســالتنا ...

● ومستقبلنــا ...

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كــره المشركــون » . (24)

ومن الله السداد والتوفيق . وهو نعم المولى ونعم النصير .

(24) الصف 9 .



منظر من القاعة

النقطة 3

الدور المفيد للمرأة فى مجتمع اليوم

د٠ شارل ل٠ جيدز

أستاذ ومدير المعهد الامريكى للدراسات
الاسلامية ، جامعة دنفر ـ كولورادو ـ
(الولايات المتحدة الامريكية)



ان الله بحكمته الخالدة قد آتى بالرجل والمرأة ليسكنا هذا العالم الجميل الذى كان قد خلقه ، كل منهما يسعى لتعمير هذا العالم بالسكان ٠ هذا بالاضافة الى رغبتـه بأن عليهما أن يتساندا روحيا ، وعاطفيا ، وجسمانيا ٠ يمكننا أن نقرأ عدة فقرات فى القرآن تنص على أن الله قد خلق الذكر والانثى متساويين بغض النظر عن الفروق فى الناحية الجسمانية وفى الطبع ٠ انه من الاهميـة بمكان وكمرجع رئيسى فى المجتمع المعاصر أن نذكر بالآية رقم 194 من سورة آل عمران : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكـم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ٠٠٠ » ٠

ولسوء الحظ ، قام الرجل بتجاوز احكام وارادة الله أو قام بتحريفها وقلب معناها الحقيقى ، ومن بين ذلك سعى الرجل الى اخضاع النساء لارادته ومن ثم وضعهن فى مرتبة اقل منه • وبهذا الصدد كان الرجل عادة ناجحا لانه اقوى من المرأة من الناحية الجسمانية والعاطفية ، الامر الذى حدا بالمرأة عبر العصور أن تبدى رغبتها فى ارضاء الرجـــل •

منذ عدة سنوات ، ودون علم وبخلفية دينية كتب الغربيون ما مفاده أن العقيدة الاسلامية وحدها هى المسؤولة عن الحط من قيمة المرأة فى العالم الاسلامى • انهـم قاموا بذلك متغاضين عن الحقيقة ، وهى أن المجتمع الغربى قام أيضا بمعاملة المرأة بصورة غير عادلة ونظر اليها نظرة بأنها أقل من الرجل ليس فقط من الناحية الجسمانية بل من الناحية العقلية والعاطفية •

فى القرن الثالث عشر ذكر احد الآباء فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بـأن مولد الانثى كان خطأ من الطبيعة وأن قدرتها العقلية أقل بكثير من تلك التى يتمتع بها الذكر • ورغم ان هذا لم يعد مذهبا للكنيسة الا أن هناك من يؤكد بحزم أن عقول النساء أقل قدرة من عقول الرجال • اننا غالبا ما نهزأ بالسائقات وذلك لكونهن نساء •

ان الدستور الاساسى للامة الجديدة الذى طبقته الولايات المتحدة الامريكية عـــام 1787 ، ذلك الدستور الذى يعتبر من اكثر الدساتير تحررا فى العالم فى ذلك الوقت، لم يسمح للمرأة لا بالتصويت ولا بفتح مكتب عام لها • وهذا العجز المنسوب للمرأة ، التى ساهمت ماديا فى الثورة وفى تأسيس الامة الجديدة ، لم ينسخ الا فى المادة رقم (19) من دستور عام 1920 ، أى بعد مرور 133 عام • هذان مثلان فقط من بين العديد من الامثلة التى وضعت النساء فى موضع اللامساواة فى المجتمع الغربى •

رغم العجز والانحطاط المفروض عليهن ، استطاع كثير من النساء عبر التاريـخ فى ثقافات ومجتمعات مختلفة فى الغرب والشرق ، التغلب على هذه العقبات والعمـل لتحسين أحوال الرجل ولتقدم المجتمعات التى عاشوا فيها •

فى هذه الفترة البسيطة لا يدور فى مخيلتى محاولة التحدث عن التطور التاريخى للحركات التحررية النسوية أو التنقيب عن جهادهن المعاصر لاكتساب المساواة بالرجل ، تلك المساواة التى وهبها الله لهن · اننى أود ان اقدم لكم فوائد كلا الطرفين الرجال والنساء ، تلك التى يجب أن يخلقها الموقف الاجتماعى الثابت الذى يسعون عادة من أجله ، كما أود فى نفس الوقت ان أشير الى بعض المشاكل التى أثيرت فى السنوات الاخيرة بسبب بعض الاعمال التعصبية لبعض حركات التحرر النسائية · هذه الامور الاخيرة ممكن ان تصلح كتحذير لتلك المجتمعات التى بامكان حفنة قليلة منها ان تدمرها أو تعرضها للهلاك · ان دراسة المرأة فى المجتمع والحركات التحررية النسائية أصبحت منذ وقت قريب فقط تكون جزءا هاما من العالم الاكاديمى والاجتماعى · هناك كتابان لهما أهمية خاصة صدرا باللغة الانجليزية حديثا ، يتحدثان عن دور النساء فى آسيا الجديدة قام بتحرير احد هذين الكتابين زميل سابق وصديق هو الدكتور جوليس ليبرا استاذ التاريخ بجامعة كولورادو ، وكان عنوان الكتاب هو **دور المرأة فى تغيير اليابان**·ان هذا الكتاب يشتمل على عدد من المقالات تدور حول دور المرأة فى مجتمع صناعى راق حيث تعتبر فيه النساء جزءا اساسيا من القوة العاملة · هذا بالاضافة الى أن مهاراتهن تعتبر الى حد بعيد السبب فى اعادة بناء اليابان بعد هزيمتها وتدميرها فى الحرب العالمية الثانية · وبعد خروجهن من الماضى ذى النزعة التقليدية ، والذى كانت المرأة فيه موضوعة فى منزلة أقل من الرجل ، نجدهن الآن مرغمات على اجتياز مرحلة صعبة جدا لبلوغ الثقافة التقنية المبنية على طراز غربى حيث منحن درجة معينة من المساواة والاحترام ·

والكتاب الثانى قامت بتأليفه سيدة « عالمة » باكستانية ذات مقدرة عظيمة ، وهو تحت عنوان : **حالة المرأة فى العالم الاسلامى ، دراسة عن الحركات النسائية فى تركيا ، ومصر ، وايران ، والباكستان** ، من تأليف بارقين شوكت على · قامت الدكتورة على بالتدقيق فى وضع المرأة فى بلدان متشابهة اصلا فى الماضى الثقافى والتقاليد ومختلفة فى التصنيع وتحرر المرأة · وان هذه الدراسة ذات فائدة عظيمة لكثير من هؤلاء الذين يحضرون هذه الندوة · ومقابل هذين الكتابين سأقتصر فيما يلى على ابداء ملاحظاتى

بصورة موسعة تجاه الحركة النسوية فى الولايات المتحدة مشيرا الى النجاحات والاخطاء التى فى استطاعة النساء فى العالم الاسلامى اتباعها أو تجنبها . ينتابنى شعور بضرورة القول بأنه رغم تحدثى كرجل ، فانا أتحدث كانسان يعتقد جازما بمساواة الرجل بالمرأة ، وكواحد قام بتعليم الطالبات فى مصر والولايات المتحدة وعمل جنبا الى جنب مع النساء واشاركهن فى مناسبات عديدة فى طباعة المواد العلمية .

وبصورة عامة ، فى الماضى القريب وخاصة عند انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت المرأة تحصل على المساواة فى التعليم ، وفرص العمل، والتعويض والمشاركة السياسية اثناء الحرب كان على البلدان المتطورة مباشرة فى الحرب ان تشغل عدة آلاف من النساء فى المعامل والمناجم وترسانات السفن ، بالاضافة الى حلولهن محل الرجال الذين أرسلوا إلى جبهات القتال . ان الافعال الماضية الغير عادية التى قام بها النساء كانت سببا فى ظهور أغانى اثناء الحرب تمجد الدور اللازم الذى أسند اليهن ، والعمل الباهر الذى كن يقمن به . وفى استطاعتى ان اتذكر جيدا احدى هذه الاغانى وهى : (روزة البجانة) ، اذ كانت تدور حول مساعدة المرأة فى بناء السفن البحرية فى الحقيقة كانت شقيقتى تعمل ككهربائية فى ترسانة سفن اثناء الحرب . اشتغال المرأة هذا فى الوظائف الخاصة بالرجال جسد حقيقة تساوى المرأة بالرجل فى عدة مجالات، اضف الى ذلك ان كثيرا من النساء لم يرغبن فى ترك العمل خارج المنزل . وترك الرواتب المرتفعة التى تدفع لهن عند انتهاء الحرب . كثير من الرجال وافقوا على قدرة المرأة للقيام بوظيفة الرجل الا انهم رفضوا قبول افتراض تقاضيها نفس راتب الرجل لنفس العمل . هذا الاعتقاد بالمساواة فى القدرة وعدم المساواة فى التعويض ما زال سائدا فى معظم الاقطار بما فيها الولايات المتحدة .

هذا الاعتقاد نجم عنه كثير من الحقد ، ومن الممكن ان يكون هذا احدى أسباب وجود حركات التحرر النسوى . فى عام 1975 قامت منظمة العمل الدولية فى المؤتمر العام للولايات المتحدة بتبنى قرار نهائى وتفصيلى حول مساواة النساء العاملات على المستويين ، تكافؤ الفرص والتعويض .

وهذا الاعلان أكد ما سبقه من قرارات دولية تخول للنساء الحق فى تكافؤ الفرص ، والتعليم والتدريس ، والتوظيف ، والتأمين ، والتعويض ، الامر الذى حث كل الامم على تطبيقه . عام 1975 كان أيضا عام المرأة الدولى مع المؤتمر العالمى الذى عقد فى مكسيكو سيتى فى شهر جوان فى نفس العام . هذان الحدثان اضافا قوة دافعة للحركة النسوية من اجل تحقيق المساواة التى تستحقها المرأة . سن مؤتمر الامم المتحدة قانون تكافؤ الفرص فى العمل وذلك القانون الذى يمنع التميز فى التوظيف على أساس الجنس والعنصر ، واللون والدين والجنسية بالاضافة الى المساواة فى الاجر . كثير من الرجال والنساء يؤيدون وجود عبارة « قانون التساوى فى الحقوق » فى الدستور رغم عدم الحاجة الى ذلك .

لا يوجد مجال للشك بأن المرأة تستطيع أن تلعب دورا هاما فى العصر الحاضر ، كما لعبته فى الماضى ، وكما ستلعبه فى المستقبل . وهب الله النساء صفات معينة تميزهن عن الرجال وواضحة من اختلافاتهم العضوية : الرأفة ، والرقة ، وغريزة الامومة ، والخفة والرشاقة لعدد قليل . ونفس هذه الصفات هى التى تمكنهن من القيام بوظائف معينة اما أن تكون غير ملائمة للرجال أو صعبة عليهم . مثلا ، الرعاية الطبية لا تتطلب فقط المعرفة العلمية بالجسم ، وبالامراض وبالصيدلة بل أيضا تتطلب الرأفة والرقة لعلاج المرضى . المعرفة العلمية ممكن الحصول عليها لكلا الجنسين الا ان الرحمة تتبع من الداخل . وهذا هو احدى الاسباب التى تبين ملائمة المرأة للتمريض . ان غريزة الامومة ذات أهمية خاصة للرفاهية الاجتماعية . التصنيع الالكترونى الحديث ودقته يحتاج الى قدرات خاصة بالاضافة الى خفة اليد والاصابع فى عمليات الصناعة . نلاحظ ان أيدى الرجال كبيرة جدا واصابعهم غليظة بشكل لا يمكنهم من القيام بهذا النوع من العمل فى حين ان النساء بقدراتهن العضوية الخاصة يستطعن القيام بهذا العمل الصعب . اذن ، وجود النساء فى القوة العاملة ضرورى للقيام بتلك المهام التى لا تتلائم مع الرجال . هناك عدة مهام اخرى ومهن تتمكن المرأة ان تقوم بها كالرجل وذلك بسبب التكافؤ الداخلى العقلى مثل مهام القانون والتعليم

والمكتبات والصحافة والهندسة والسياسة الخ ٠٠٠ ان الرجال والنساء فى استطاعتهم مساعدة بعضهم البعض فى مهامهم كما يفعلون فى الحياة اليومية وذلك كما أراد الله ٠

المساواة فى ظل القانـــون ، والمساواة فى التعليـــم والتدريس ، والتوظيف والتعويض والمعاملة أمور لازمة وتستحق الثناء وذلك لكون الرجال والنساء متساوون أمام الله ٠ اما الكفاح من أجل المساواة ممكن ان يعود بالدمار على الانسان والمجتمع على حد سواء ٠ ان هناك ضغطا شديدا من جانب النساء للبحث عن وظائف خارج المنزل وذلك لاسباب مالية ونفسية وهذا الضغط يمارس فى امريكا وخارجها ٠ فاليوم 27 ٪ من القوة العاملة فى الولايات المتحدة هى من النساء ، وهذه النسبة فى ازدياد مستمـــر ٠

هذه الرغبة والضغط من أجل المساواة جعل النساء يبحثن عن طريق يصبحن فيه ليس فقط متساويات بالرجال بل يفوقونهم ٠ ونتيجة لهذا كان لتحرر النساء تأثير هدام على نفس المجتمع الشديد الرغبة فى الرفع من شأن المرأة ٠ ان هناك محـاولة جبارة لتخنث الذكر ولحرمان النساء من تلك الصفات التى كانت تميزهن عن الذكر ٠ كما انهن أصبحن أكثر استرجالا من الرجل فى اللبس والحديث والطباع ، وهـن يحاولن ان يفرضن على الرجل لبسا نسويا ، بالاضافة الى وضع الروائح العطريـة واطالة الشعر وما شابه ذلك ٠ والنتيجة هى ما يسمى **بوحدة الجنسين** ، بمعـــنى استئصال الاختلافات الخارجية التى تميز الذكر عن الانثى عندما تصبح النساء أكثر مقالاة وعدوانية فان هوة الخلاف تزداد بينهن وبين الرجال ، الامر الذى يعود بالهلاك على الجهتـين ٠

بالعمل خارج المنزل ، وبمساواة الاجر ، وبالحاجة النفسية لكى يصبح الانسان « لذاته » ، بكل هذا لم يعد أغلب النساء راغب فى المحافظة على البيت لدرجة أن الاسرة كقوة اجتماعية أصبحت فى طريقها الى الانحلال ٠ وكنتيجة مباشرة لهذا أصبح الطلاق فى المجتمع الغربى يزداد بصورة عامة ، اذ نلاحظ ان نسبة الطلاق فى الولايات المتحدة هى واحد الى ثلاثة ، فى حين أن هذه النسبة ازدادت فى بعض الولايات بنسبة واحد الى اثنين ٠ فقد أصبح البيت المهدم فى الواقع أمرا طبيعيا ٠ هذان التطوران وهـما

«دمار وحدة العائلة ونسبة الطلاق المرتفعة يهزان كيان علماء النفس والاجتماع والزعماء الدينيين على مختلف طوائفهم ومعتقداتهم بسبب تأثير ذلك على الكبار المعنيين بالامر وعلى الاطفال • كلما ازداد خروج النساء من المنزل بسبب العمل أو الطلاق نجد أن الاطفال الذين حرموا من التوجيه الابوى ، يوضعون فى مراكز الرعاية اليومية الامر الذى يزيد من حرمانهم من العناية الابوية والتوجيه اللازمين لحياتهم • ونفس هذا الموقف قوبل فى البلدان الاشتراكية والرأسمالية المصنعة يذكر علماء النفس والاجتماع بأنه كان عليهم اثناء السنوات الماضية ان يعالجوا عددا متزايدا من الشباب المضطربين عاطفيا بالاضافة الى الاطفال ، الامر الذى جعلهم يتخوفون من المستقبل • الافراط فى تناول المخدرات والكحول وانتشار الجريمة كل هذا يعتبر نتيجة مباشرة لهذه الاعتبارات • زيادة على هذه الانحرافات فان العنف فى طريقه الى الازدياد • الجريمة ، والقتل ، والفسق ، والسرقة كل هذا انتشر دون حاجة ماسة • فالكهول متخوفون من الخروج من منازلهم حتى لو كانوا أصحاء •

هناك نتيجة أخرى تمخضت عنها الحركة « التحررية » وهى الانحلال الخلقى متمثلة فى الفجور المتعلق بالعلاقات الجنسية • انه لمن الطبيعى أن نرى شبابا يعيشون مع فتيات بصورة مكشوفة تماما خارج الرباط الزوجى ، الامر الذى نجم عنه نسبة مقلقة من الامراض التناسلية والاوبئة كان لها الاثر السىء على الكبار والصغار المولودين على أثر الزواج الغير شرعى •

فى الامكان ايجاد خط ثابت جدا يفصل المساواة « والتحرر » بالنسبة للمرأة ، واجتياز هذا الخط أمر سهل لكنه من الممكن ان يكون فى منتهى الخطورة للانسان والمجتمع ككل • النساء وحدهن فقط يستطعن الاختيار فيما اذا كن راغبات فى قبول المساواة لوحدها ام « التحرر » بدون أو بوجود المساواة ، ان المساواة تحمل فى طياتها مسؤوليات محددة جدا بالنسبة لهؤلاء الذين يبحثون عنها ولذلك المجتمع الذى يشجعها • ينبغى على الرجال القبول بقول الله ان الذكر والانثى متساوون وعلى النساء الاقرار بمسؤوليات المساواة ، تستطيع النساء بل ينبغى عليهن فى المجتمع الحاضر ان يلعبن الدور البناء الذى أهلته لهن صفاتهن وقدراتهن ، وان هذا الدور يجب ان يكون لتحسين احوال المجتمع وليس لتدميره •



بعض الملتقين على آثار سدراته
وترى فى المقدمة ثلاث من السيدات التركيات ، من اليسار الى اليمين :
د · آمال ايزين ، عضوة معهد البحوث الثقافية التركية ـ اسطنبول ، و ب · اريبوران ، **قاضية ونائبة بالمجلس سابقا** ، ورئيسة الجمعية الوطنية لقانون المرأة التركية ، و د · صائمة اينال الصاوى . استاذة الادب الفارسى بجامعة أتاتورك فى أرضروم ·

نحن الساحرات

السيدة كزافيير قوتيي
كاتبة ـ باريس ـ (فرنسا)

للنساء قصة فى التاريخ بل ربما لهن أكثر من قصة تتمادى طوال العصور والاجيال دون أن نجد لها أثرا فيما يؤرخه الرجال ٠



واذا كانت أخبار النساء لا تشغل المكان الاول فى مسرح السياسة فان السبب فى ذلك واضح فالتاريخ الذى هو من صنع الذكور لم تكن دعائمه لتقوم لولا طرحهم فى زاوية الاهمال بكل ما هو نسوى ولولا أنهم استعبدوا الاناث واخفتوا نامتهن ونفوا الغانيات فى ظلمات البيوت وخبايا القلوب ٠

فهذا التاريخ اذن لم يتألف من دون ان يكون للنساء ضلع فى تأليفه ، فكان لا مناص من حضورهن فيه وهن المغيبات عنه ، وكان لابد للرجل أن يدوسهن ليسير ٠

قدما ، وكان من الضرورى أن يعتمد على عزائمهن المكبوحة وطاقاتهن المكبوتة ، وأن يتفيأ ظـــلالهن ويستوحى وصالهن ، ويشفى بدموعهن غليله ، ويستمتع بصورتهن الجميلة ، أجل كان لابد له من ذلك كله حتى يحصل على انتصاراته فى ساح الكفاح ٠

وهذه الظاهرة نفسها نستطيع أن نلحظها فى المجتمعات الطبقية ٠

ألم ترأن الذين بأيديهم المال والسلطان ينزعون الى استثمار جهود الشعب لكيما تتزايد أرباحهم الى ما لا نهاية ، ويشيدوا هذا التاريخ الذى ينعتونه بالرقى والتقدم ٠

ويقاس بذلك أيضا حال الدول الغربية فقد مر عليها حين من الدهر كانت مفتقرة لتسخير الطاقات الحيوية الكامنة فى الشعوب الاخرى التى أوقعتها فى ربقة الاستعمار.

ولكنما الدماء لم تقف عن المسيل فى شرايين الضحايا المسخرين للاستغلال أو الاستعمار ، فكانت تلك الدماء تتدفق تدفقها الخفى الخافت تحت أديم الثـرى أو فى دكنة الغابات أو تحت بشرة البشر ، أجل لقد كان الدم الدورى يجرى تحت جلابيب النســاء بلا فتــور ٠

هذا هو التاريخ الذى يهمنى أى تاريخ ما يجرى تحت أديم الحياة لا تاريخ الحكام والاسياد الذى أعتبره محاولة مكررة للقضاء على « الآخر » (l'autre) أى لاعــدام غيرنا والغاء جميع «الآخرين» ممن يختلفون عنا فى البشرة أو فى الجنس أو فى الدين أو فى المصلحـــة ٠

ومن بين عصور هذا التاريخ النسوى الباطن الذى مرت عليه قرون كلها كبت ومنع ونحس وتحريم ـ عدا بعض الفترات الخاطفة التى قدر فيها للمرأة أن تبرز ـ اخترت عصر الساحرات الذى يعد فجوة فى تاريخ القرون الوسطى بفرنسا ٠

وبعد فانى لن أقصر كلامى على ما يدعى (بالحقيقة التاريخية) أى حقيقة (تاريخهم) بالذات ، بل سأمزجه بحقائق أخرى كالخرافات mythe والتوهمات fantasme وعناصر من قصتى أنا وهى تطابق أحيانا حقيقة الكثيرات من النساء ٠

ومعنى ذلك أن الموضوعية ـ كما يقـولون ـ ستتخللها خيـوط مـن نفسانيتى كالطفولة والعلاقة بالماضى من حياتى مثلا ، وهذا هو الشأن فى كل خطاب فما من قول الا وهو ينم عن نفسانية قائله انها حقيقة ينبغى أن نجهر بها ٠

ثم ما الداعى الى اختيار هذا الموضوع أى موضوع الساحرات من جملة المواضيع المتعلقة بتاريخ النساء ؟ لماذا أتحدث عن الساحرات بينما نرى النساء والرجال وحتى الصبيان فى بلاد الغـــرب يتصورون الساحرة فى أغلب الاحيان وحتى الاولاد فى قصصهم السحرية يتصورونها منذ نعومة أظفارهم امرأة شوهاء وعجوزا شمطاء دابها الخبث والايذاء ثم تبقى هذه الصورة راسخة فى أذهانهم لا يعتريها تبديل ٠

أقول لماذا اخترت هذه الساحرة موضوعا والحال أننا نجد الصور والرسوم التى تمثلها عند الغربيين تبرزها لنا شعثاء غبراء ذات خرطوم مستطيل يلامس ذقنها فتارة تمتطى عصا مكنسة قذرة وهى تضحك ضحكة المكر والسخرية وتارة تغدو منـــذرة بالثبور وتقبل الشيطان من قفـــاه ؟

لماذا اخترت هذه العجوز الشمطاء مثالا عن المرأة ؟ أترانى شعرت بنفسى مشاركة لها فى تعاطى السحر ؟ لئن شعرت بشىء من ذلك فقد احسست أنه من الواجب أبطال تلك الصورة المصفحة stéréotype المناقضة للواقع على طول الخط ، تلك الصورة التى اصطنعها الرجال بحذق ومهارة لتشويه صنيع المرأة والنيل من قدرتها على الابداع ٠

كيف كانت الساحرات فى القرون الوسطى وكيف كانت حالتهن الحقيقية ؟

هناك بين الكتاب الفرنسيين رجل (ومع أنه رجل) فهم تلك الحالة فهما بديعا ألا وهو المؤرخ ميشلى Michelet

كن نساء يعشن وحيدات فى انفراد تام ، ولا أقول منعزلات كما هو شأن معظم النساء فى العصر الحاضر ، وسبب وحدتهن أن أزواجهن ساروا الى ميادين الحرب التى يدير رحاها سيدهم أى مولاهم فقد كانوا عبيدا يستغلهم أهل السلطة والجاه ومـع ذلك فقد كانوا مشغوفين بهذه اللعبة لعبة الوقائع والغزوات والقتال لما يجدون فيها من تضامن وتواطىء بين الرفاق ومصارعة شديدة الوطء على الاعداء ٠

أما الغانيات فقد بقين وحيدات يهمن فى الاحلام وما الاحلام الا نصيب العبيد من الحرية كن يحلمن وكانت أحلامهن تزداد شدة وحدة الى أن صرن يجهرن بما يرين فكن يتكلمن ولكن من يخاطبن ؟ لا أحد من حولهن وانما حديثهن مع النباتات وأدواح الغابات وما يحوم حول أكواخهن من بهائم فيناجين الطبيعة لانها جارتهن القريبة والعجيبة فى آن واحد لما تحتويه من غرائب فهن أيضا كأزواجهن فى اشتباك وصراع ولكن صراعهن كان مع الارض والازهار والفصول والاقمار وحفيف الاوراق فى الاشجار وهكذا حصل لهن بالتدريج وعن طريق الاتصال اليومى بالكائنات الحية كثير من المعلومات ولا أقول كثير من المعارف وأصبحت لهن معلومات صحيحة ـ وان كانت تجريبية ـ عن جميع الاعشاب التى تبذر أو تنمو أو تزهر فى محيط أكواخهن فاطلعن على شتى الخصائص التى تمتاز بها هذه الاعشاب بالنسبة الى الجسم من حيث أنها متصلة به على الدوام فعرفن مزاياها فى جلب الشفاء أو النوم وميزن بين النافع منها والضار وبين الشافى والسام فأصبحن طبيبات الشعب أو بالاحرى متطبباته الشافيات ٠

أما الاطباء ـ وهم الذين تواطؤوا مع الرهبان فاصدروا حكم الاعدام عليهن بالاحراق فهم الفئة المنتهزة المستغلة للعلم ، فاذا كانت لهم معرفة تلقوها فى الجامعات فانها معرفة مفصولة عن وجودهم الجسدى تمام الانفصال بحيث لا يعالجون الاجساد الا من الخارج هذا بغض النظر عن سيطرتهم على المريض وتسلطهم وتآمرهم عليه فأنا عندما أزور الطبيب ليفحصنى أراه لا يبالى بما يجرى فى داخل جسمى ، ولا يكترث بما أشعره ولا يهمه ما أعيشه فالحقيقة فى نظره هى ما تلقاه فى الكتب ٠

أما الساحرات فانهن على النقيض من ذلك انهن غير منقطعات الاسباب عن أجسامهن ولا أجسام غيرهن ولا عن التوازن الموجود بين القوى الحيوية فى هذه الطبيعة لا بل يعشن فى وحدة روحية مع الواقع ولسن بالمترددات ازاء اتخاذ مسؤولياتهن بل يخلصن الى أقصى مدى الاخلاص فى جميع ما يصنعنه لفائدة المريض ٠

يضاف الى ذلك أنهن يعرفن بحكم أنوثتهن ما معنى الحمل وما معنى الوضع (وفى ذلك العهد كان عدد السحرة الذكور ضئيلا جدا) ٠

كن فى بداءة الامر قوابل يسعفن النساء على الولادة وكن يعلمن أن المرأة الحامل هى التى تستطيع دون غيرها أن تقرر هل ترغب أن يكون لها ولد فالساحرات اذن يعرفن جميع النباتات المجهضة التى بها يستطعن تخليص الحامل مما لا رغبة لها فيه ٠

وناهيك بالاطباء فهم نخبة تقنية صغيرة تتألف من أخصائيين حبسوا عن الشعب هذه الطاقات الحيوية التى كانت تسرى بفضل النساء ، ثم استولوا على المقاليد بقهر القوات الحرة والجامها حتى آل الى أيديهم الامر بالموت أو بالحياة ٠

لا مخلوق فى الدنيا أدرى من المرأة بمعرفة الحمل والتحدث عنه والشهادة به ٠ هذا ما يتبادر الى العقل المنطقى لكن الرجل تمكن من وضع يد حيازته على أبعد الاشياء عنه بواسطة الطب والعبارة العلمية وذلك من جملة محاولاته الواسعة التى ترمى الى الاستيلاء على الطاقات الحية الكامنة فى المرأة ٠

والا فماذا يعرف الرجل عن انتفاخ البطن وعن مبادلة الغذاء والهواء والخفقان والرى الدموى وعن مساجلة الاصوات والحركات بين الام والجنين ؟ ماذا يعرف الرجل عن تلك المتعة الخفية أو عن تلك الكراهية الغامضة أو عن ذلك التغير الكلى الذى يغزو الشعور بالتواتر الزمنى كما يغزو المنام والاحلام وشكل الهندام وشهية الطعام وحاسة الاشتمام لدى المرأة الحامل ؟ ماذا يعرف الرجل عن تلك المغامرة التى تمزق الاحشاء والتى لا نظير لها فى الدنيا ولا شىء فى نظام المجتمع معلن عن وقوعها ؟ انه لا يعلم شيئا الا ما لقنه اياه حسده وما علمته غيرته حتى صار ينفس على المرأة هذه الطاقة طاقة اعطاء الحياة ثم على الرغم من ذلك نجده هنا أيضا يستأثر بهذه الطاقة لنفسه ويسخرها لقوته دون عرسه بعد أن حملت بالولد وكونته ثم جاء يفرض طابع ملكيته عليه ويسميه باسمه (هو) ، كما فرض من قبل اسمه على زوجته (هو) شأنه فى ذلك شأن مدير المصنع يطبع ما ينتجه عماله بطابعه (هو) ٠

وأى شىء نجا من سطو الرجل ؟ حتى الرضاع ، هذا التبادل الجسمى الشهى الذى يعتبر امتدادا لما كان بين الجنين وأمه ، وهذه الدفقة من اللبن السائح التى تنساب من الشدى الممتلىء الى الفم المرتشف ، ثم الى الحلقوم الظامى ثم الى بطن الرضيع ، كل

هذه الحركات التى نسميها الرضاع كادت تندثر فى البلدان التى تدعى أنها متحضرة لان الرجل وما له من وسائل للاشهار يقف للسهر على الصورة الجنسية المثلى عن جاذبية الانثى ولان الطبيب والعلم يقفان صارخين : « حذار ٠٠٠ هناك جراثيم ٠٠٠ الطبيعة ملوثة ٠٠ ثدى المرأة ملوث ٠٠ الجراثيم ٠٠ ثم الجراثيم ٠٠ ثم الجراثيم » ، ومن الذى يغذى الرضيع اليوم ؟ الصيادلة وأرباب المصانع والتجار والصناع الذين يصنعون أو يبيعون المسحوقات المعقمة والاوعية الصغيرة التى تنمى الذكاء ٠

وحتى فيما يلى من الزمن أى عندما يكبر الاولاد ويترعرعون فان الرجال هم الذين يعتبرون طهاة عظماء ورؤساء فى فن الطهى بينما المرأة هى التى نراها فى معظم الاحوال تطبخ لكافة أعضاء الاسرة ، لا شك أن النساء لا يهمهن ان يحشرن فى زمرة العظماء والرؤساء من الطهاة ولا يعنيهن هذا المجد التجارى الرخيص ولا يرغبن الانخراط فى نظام يوزع المداليات والالقاب والدرجات ٠

لكن الرجل اذ يزاحمهن فى هذا المضمار فانما غايته التحقير والغض من قيمة شغلهن اليومى ، وقد تجد المرأة لذة فى هذا العمل حيث تعد العجين وتحوز المواد وتغذى أسرتها الحبيبة لكن هذه المهمة معترف بها قانونا من حيث أنها شغل وصاحبتها ليست مأجورة عليها ، بيد أن هذا العمل شبيه بدبيب النمل الدائب هو الذى يقيم أود الرجل العامل ويرجع له قواه ويجعله قادرا على مواصلة الكد وبذلك يتسنى لمستخدمه أن يواصل بدوره استغلال جهود العمال ٠

هذا هو الجانب الثانى من نبذ الرجل لكل ما هو نسوى ، فالاشياء التى لا سبيل الى الظفر بها أو حجزها ووضع اليد عليها يدعها للمرأة ولكن بعد النيل من شأنها واحتقارها وازدرائها ، وهاتان الطريقتان هما الاسلوبان اللذان يتخذهما الرجل فى امتناعه من الاعتراف بالجنس الآخر أى بالجنس المغاير لجنسه ٠

وبهذا الصدد أكتفى بدليل واحد وهو ما ورد فى عدة حضارات عن نجاسة دم الحيض ٠

ان الرجل يرى أن هذا الدم كدر بل كلم وسقم فهو يشمئز منه ويكرهه ويجتهد في طمس أثره والغاء وجوده كما يتجلى ذلك في اعلانات دور الاشهار التي تستعمل في حقه هذه العبارة (كأن شيئا منه لم يكن) ولكننا اليوم نلفي النساء اللائي طالما كتمن هذه الظاهرة المحرمة في خبايا النفوس طفقن يتحملن الدم الجاري كنشاط جسدي منسجم مع الطبيعة والايقاع الزمني في هذا الوجود ٠

فهن من هذه الناحية ومن عدة نواح أخرى شبيهات بتلك الساحرات اللائي كن منسجمات مع الايقاع الزمني في أجسادهن طوال الايام والليالي والفصول والشهور القمرية ٠

واذا قلت عن نساء اليوم انهن ساحرات فلانهن طفقن يسترجعن ما هو ملك لهن لا لحجزه وتحجيره ولكن لنفخ الحياة فيه وتوفيره ٠

أجل انهن بدأن يستعدن ما ضاع من قواهن الموءودة وطاقاتهن المجحودة وعزائمهن المحجوزة انهن شرعن في اعداد عدة جديدة لا يردن من ورائها الاعتداء علـى الرجال ولا يبتغين بها اخصاءهم وانما ينوين اقصاءهم عن التقمص بشخصية السيد الآمـر الناهي والمتجبر الطاغي ٠

واذا كانت الساحرات واذا كانت النساء انطلقن في الغناء والرقص ايذانا بسعادة أجسادهن ٠٠ تلك السعادة التي استرجعنها شيئا فشيئا بفضل جهودهن ، فانهن بذلك يقوضن دعائم نوع من المجتمع في نوع من أنواع سيرته فهن اذن خطر على ذلك النوع من سيرة المجتمع ولسن خطرا على الرجال ٠

بل الامر على النقيض من ذلك فسيشعر الرجال آنذاك أنهم تخلصوا من دور كانوا في ربقته رهائن ٠



منظر آخر من زيارة آثار سدراته ، ويرى فى الصف الاول (فى الوسـط بالنظارة) د · عبد الكريـم سايتوح ، استاذ الاقتصاد بجامعة طوكيو ·

ماذا تريد النساء إذن ؟

السيدة فرانس كيرى
كاتبة ـ باريس ـ (فرنسا)



اعترفوا معى بأن الرجال غريب أمرهم ، فهم امام الاقوى ، قادرون على اظهار شجاعة خارقة ولو أدت بهم الى الموت • ان شعبا عظيما ، وقد أسر منه الكثير وعذبوا واستعبدوا وأهينوا قد عرف كيف ينهض تحت بصر من كانوا يسيطرون عليه • لكن هذه الشجاعة أو هذا النبل يتطاير أمام الاضعف • فتراهم قساة جائرين ، غير واعين بدورهم • اننا لنذكر كلمة لينين فى آخر حياته اذ قال : « اننى ما رأيت قط ثورة لم تكن أداة لانتصاب الرجعية » فالرجل أمال الشهم أمام الاقوياء ، يتحول الى رجل دنىء أمام الضعفاء •

ان المقاومة التى يواجه بها الرجال احتجاج النساء لتوضح ما أقول ومع ذلك فقد كان من واجبهم أن تكون نظرتهم الى هذا الاحتجاج نظرة احترام فهو موجود فى

كل بلدان العالم أيا كانت الانظمة والعادات فيها وهو يندرج ضمن حركة التحرير الكبرى التى بدأت بثورة الفقراء ، واستمرت فى غضب الشعـــوب المستعمـــرة ، وتجسدت حاليا فى تحرر النساء ٠

لكن الرجال يقابلون هذه الظاهرة العالمية بتخوف ليس أقل عالمية ٠ فهم مـــن القطب الشمالى الى أرض النار يختلفون فى كل شيء اللهم الا فى السهولة التى يجب أن يبقوا بها النساء تحت الوصاية ٠ واذا ما تعرضوا لهذا الموضوع فى مباحثاتهم الدولية فان مصالحهم ـ وصدقونى ـ لن تدخل فى نزاع ـ انهم يقضون وقتهم فى تبادل التهانى والغمزات ٠

لكن لنعد الى حركة النساء ، انها حلقــة فى سلسلة الحركات الثورية التاريخية الكبـــرى التى دفعـــت بالاجناس والشعوب والرجال الى التخلص من حالـــة الدونية والهوان التى وضعوا فيها ٠ لكن المرأة خلافا للصراعات السابقة لا تستعمل العنـــف العسكرى ولا العصيان المدنى ، انها تكره الاعتداء وتمقت الاضراب ٠ فهى تتحدث ، وتكتب ، وتلجأ الى هذا الاقناع اللطيف ، وتحاول كسب معارك دون ان تتسبب فى قتلى أو ضحايا ٠ والرأى العام الذى أزعجه هذا الصخب يصيخ السمع الى شكاويها ٠ لكن ماذا يريد النساء بالضبط ؟

انى سأميز بين ثلاثة من أنواع المطالب :

- المســاواة المهنيـــة ٠
- الكرامة الزوجية أو المنزلية ٠
- التحـــول الحضـــارى ٠

1 ـ المســاواة المهنيــة

1 ـ 1 كســب القــوانين :

انها لفكرة ذائعــة تلك التى تـــرى بأن ليس للنساء استدلال يضاهى استـــدلال الرجال ، وبأنهن غير صالحات للاعمال التى تعتمد على الذهن والفكر ٠ وحماقتهن التى

كشفت عنها جزئية تشريعية يدعو الى الاسف (100 غرام فى وزن مخهن) كان عامل بسيط للعزائم فى أمر تعليمهن مدة قرون • وقد برهن الجهل على حماقتهن ، فالـذكاء مثل العضلات يضعف بدون الاستخدام أنظروا كيف تصدق الاحكام المسبقة •

لقد كانت معركة المرأة الاولى اذن لفائدة التعليم وليس هذا بالامر القديم ، وانما يعود الى قرابة عام وكانت المعركة قاسية • فكم من فتاة واجهت بقوة عداوة ذويها ، وتغلبت على ضغوط اجتماعية قاسية ! وكم فتــاة شنعت عليها عائلتها وطردتها أو حجبتها فى البيت • اننا لا نذكر دونما تأثر جداتنا الشجاعات •

وهذه المعركة قد انتهت تقريبا فى الغرب على الاقل فاصبح للبنات الحق فى نفس المواد والتخصصات التى للبنين • وأضحى الطريق مفتوحا أمامهن لنيل نفس الشهادات التى ينالها الذكور • ويبدو أن هؤلاء لم يستفيدوا مما حبتهم به الطبيعة من رجحـان فى وزن أدمغتهم • فليس معدل نجاحهم بالذى يفوق معدل نجاح البنات وأمام هـذه النتائج المذهلة رضى آباؤنا بمنح البنات حق التصويت وقابلية الترشيح للانتخابات • وبعض مناصب المسؤولية • وهكذا يمكن القول أن المعركة قد كسبت تقريبا مـن حيث المبـادىء •

1 ـ 2 انتـزاع حـق الانتفـاع :

لكن الامور لا تسير بنفس السرعة ـ للاسف ـ على صعيد التطبيق والممارسـة الفعلية فالمجتمع عنيد • اذ مع تساوى المؤهلات لا تجد المرأة نفسها الا فى وضعيـة جائرة تتمثل فى أعمال أكثر رتابة ، وسلطات أقل ، وأجر أدنى ويبرر هذا العنـف بعلة انصراف المرأة الى مهامها العائلية التى تشغلها عـن مهنتها • لكـن هذا المجتمع نفسه عرف كيف يتلاءم مع الالتزامات العسكرية المفروضة على الشباب وهى هائلـة فى بعض الاحيان ، أو العطل والاجازات المدفوعة الاجر التى تمنح للعمال ، (والتى لم تؤد بالمؤسسات الى الافلاس كما كان يخشى ذلك فى عام 1936) • واذن لماذا لا يبذل المجتمع هذا المجهود الاضافى من أجل النساء ؟ تلك هى اليوم مهمة النزعة النسوية ، والتى يجب ان لا تتمثل فى المطالبة بالحقوق الجوهرية بل فى وضع حد لهذا العـدد

الذى لا يحصى من التجاوزات والمظالم المبررة بقدر أو بآخر · وهذا يتطلب طاقة من حديد ، ولقد كنت معجبة قبل حين بشجاعة جداتنا ، لكن انظروا الى بسالة حفيداتهن التى يتعين عليهن ان يهزمن عقلية من الاحتقار قديمة قدم العالم !

2 ـ الكرامة المنزلية :

2 ـ 1 تقاسم المهام :

وحين تتحصل النساء على كل هذا سيواجهن حياة شاقة ذلك لان معظمهن يعشن فى بيت يتعلقن به ، ومهما تقل النزعة النسوية التقليدية ، فان النساء سيشعرن بنقص اذا لم يقمن فيه بهبة الحياة فولوج النساء باب الحياة العامة لا يطفىء أبدا طمأهن القديم وعليهن ان يلائمن من الآن فصاعدا بين المطلبين · ومهما قيل ، فانهما متساوقان اذا توفر القدر الكافى من الارادة الحسنة ·

وهذا يفترض أولا تقاسم المهام المادية والتربوية فمن العار أن ينتظر المرأة التى تشتغل اليوم كله خارج البيت يوم ثان من الشغل مساء فى بيتها وحتى اذا لم تكن عاملة فانها لا تستغنى عن مساعدة زوجها · لقد كانت الاسر واسعة من حيث العدد فى الماضى ، وكانت المهام فيها موزعة ، ومن المستحيل اليوم وقد انحصر مجالها فى الوالدين والابناء ان تضطلع المرأة وحدها بكل أعباء البيت ·

ولننظر الى الاطفال · فان التربية التى يمنحها الاب والام كلاهما فى آن واحد هى بالضرورة تربية أكمل وأكثر توازنا · ولم تبرز نظريات « فرويد » الى الوجود الا حين باتت القرابة فى القرن 19 غير متساوية حيث كانت الام منهمكة فى تربية الابناء ، وكان الاب يستغرقه العمل فى المؤسسة وحينئذ أمكن التحدث عن « عقده أو ديب » حيث يتلهف الابن الى الانتقام من لا مبالاة الاب ، وعن « عقدة الخصاء » حيث يشعر بأن الاهانة التى تعانيها الام فى منصب الخادمة الخاملة هذا هى بمثابة بتر حقيقى ، ومن بديهيات السيكولوجيا المعاصرة اليوم ان الطفل بحاجة الى بناء عائلى سلم يكون فيه الاب والام معا ·

2 ـ 2 تقاسم الحب :

غير أنه لا يكفى ان تجد المرأة مساعدة فى انجاز مهامها · فمن الواجب أن تتوفر كذلك مساعى الود المتبادل فلم يعد من المناسب أن يظهر الزوج هذا الاحتقار القديم الذى من شأنه ان يجعل تقاسم الاعمال أمرا مستحيلا أو غير لائق وأود ان أقول كلمة عن الحب الزوجى · لماذا يفشل كثير من الازواج ويكفون سريعا عن التحاب ؟ ذلك لان علاقاتهم تقتصر فى معظم الحالات على علاقة بين المسيطر والمسيطر عليه · فالرجل يأمر ، والمرأة تطيع ، لكن ما من شىء هو أكثر تعويضا من سلطة مجمدة بل انظروا ، ان المرأة تجذبها الحياة العائلية فهى تحلم ببناء بيت لكن كم هى الحالات التى تظل فيها هذه الوظيفة حرة وسعيدة ؟ فنحن غالبا ما نشاهد هذا المخلوق الحر يتحول الى عبد ، وهذه الوظيفة تستحيل الى عبودية ، وهذه التلقائية تؤول الى يأس وقنوط وعلى من يقع الذنب ؟

وليدوم الحب ، (وأنا مؤكدة لكم امكان دوامه مهما عاند المعاندون) ، لابد له من تبادل صارم ، فهذه المبادلة هى وحدها الكفيلة بانقاذ الحرية · أنت تخدمنى وأنا أخدمك · أنت تحبنى وأنا أحبك. فالعاطفة الخصبة والمغذية يجب ان تنمى العاطفة الاخرى وينبغى الا تكون هذه العاطفة غيورة أو ذات نزعة تملكية · فمثل هذه العاطفة خانقة فى الواقع وقتالة ، ثم هى هالكة بدورها على حين تعتقد المحافظة والصيانة أن الحب الحقيقى مؤسس للحرية · وعليه ألا يخشى الحرية اذن لانها منقذة له · ان الكائن الحر هو الكائن القادر على التفكير والعمل والشعور على مقتضى متطلبات حياته الداخلية . انه الكائن الذى يمضى فى استكمال ذاته أى فى التحول وفى ان يكون كل يوم خلقا آخر · ان هذه الجدة الدائمة لامر جذاب وفتان فهى ترعى اعجاب الحب وتقنعه بأنه ليس الا فى بدايته ، وأنه لا يفتأ يكشف عن وعوده الاولى ·

ان بربريا كبيرا فى القرن الرابع الميلادى ، وهو المعروف « بالقديس أوغيستان » قد شعر بصدمة ونقص · لان كلمة الحب تستخدم للدلالة على الشعور الذى يحمله المرء ازاء شخص يعزه ، وللدلالة على المتعة التى يجدها المرء فى أكل الحيوان المصيد فأنا أحب أبى ، وأحب الارنب البرى ، واللغة اللاتينية تستعمل للتعبير عن هذا الحب

نفس الفعل • وأنا معترفة بأن اللغة الفرنسية تنحو هذا النحو • يا لحماقة اللغــة ! نفس الكلمة تستعمل للدلالة على الحياة وعلى التدمير • أيكون هذا ممكنا ؟ لكن لنعــد الى شباب عصرنا ، ما الحب الذى يريدون أن يحملوه لزوجهم ؟ افيحبونها حب الشخص للشخص أم حب الشخص للارنب البرى ؟ اتراهم يحبونها من أجل الحياة أم من أجل المـــوت ؟

3 ـ حضـــارة مختلفـــة :

ان المرأة بخوضها هذه المعركة المزدوجة فى الخارج وفى الداخل لا تحارب مـــن أجلها فقط • فمن وراء ما تنشده من تغلب على اضطهاد واستعادة الكرامة انما تستشف مشروعا أعظم وأكثر طموحا • انما تتطلع الى وجه آخر من وجوه الحضارة • فالمكتسبات الشخصية المعددة آنفا لا تغمرها نعيما • انها ستظل مضطهدة ما لم يعد النظـــر فى طريقة حياتنا ، وفى ثقافتنا ، وعاجلا لا آجلا •

3 ـ 1 تطلـع الى الســـلام :

لقد استبعدت النساء فى كل مكان وزمان عن النشاطات الحربية ولا يرضى أصحاب النزعة النسوية أن يعزى الى النساء جوهر خاص بهن •

(فهذا الامر قد خدعنا وغشنا) ، ولتسامحنى هذه النزعة اذا أكدت هذه الحقيقة البديهية : وهى أن المرأة على عكس الرجال ، أو على الاقل عدد منهم ، تشعر بهـــول فضيع جدا ازاء الحرب • وقد ظلت متألمة طيلة قرون ، وصامتة لا تحير كلاما أمام ويلات الحرب • والمرأة الاولى التى صدرت عنها صرخة فى تاريخنا الغربى انما كان من أجل التشنيع ـ بقلم أرسطوفان ـ بقاتلة الابن والزوج ومن أجل الاحتجاج عـــلى العنف صرخت « آنتيغون » فى مأساة « سوفوكل » تقول : « اننى ما جئت لاقاسمكم الحقد ، لاشاطركم الحب » •

وقد ظلت أنة النساء صماء طيلة قرون ، ولم تكد صدمتهن تجد صوتا يعبر عنها • افيكون من قبيل المبالغة فى الرجاء أن نستشف فى هذا الموضوع ذاته تغيرا ما ؟ لقد اضحت هذه الصدمة صدمة عامة مفضوحة وأخذت أخيرا شكل قوة سياسية ، ومن يدرى فلعل أن تكون نساء فى ايرلندة بصدد احلال السلام فى هذا البلد • فهن لم

يكملن السلاح • وقد التقين وتعانقن ، وشاركن سويا فى استعراض ، وأصبح تعانقهن مما يدفع اذرع أزواجهن الى التردد •••

اننى لا أدعى أن المرأة ملاك « من حيث اللطافة » والدماثة • فمن منا لا يعرف من بين النساء امرأة مخيفة ؟ ومن منا لا يعرف منهن متنمرات ؟ وانما أزعم أنه قلما نجد فيهن من تتحمل تدمير الحياة . فلا جسمهن ولا عقلهن باللذين أعدا لهذا الامر . ولننصت الى اللواتى يتحدثن منهن اليوم • فهن لا ينكرن ، فى بلاهة ، وجود النزاعات ، وانما يرين امكان تسويتها بطرق أخرى • وبأنه يجب وضع حد لمثل هذه المخلفات البالية والممسوخة من القتل والاغتيال •

وهذا التقليد القديم اذا ما ساعدته معدات وأدوات من أحدث طراز قد يقود العالم بالفعل الى نهايته المحتومة •

3 ـ 2 التطلع الى سياسة جديدة :

ان المرأة لتمقت الحرب من أعماقها • وأضيف بأن السياسة لا تجتذبها كثيرا على الصورة التى نمارسها بها عادة على الاقل • وربما ادخشت أصحاب النزعة النسوية ، لكننى ألاحظ أن للنساء اليوم حقوقا لا يستغللنها اطلاقا • وقد يكون من المستعجل القول بأن السبب فى ذلك يرجع الى ضغط من الذكور ربما كان أقوى من هذه الحقوق • ما فتىء عدد النائبات الفرنسيات فى المجلس الوطنى يتضاءل منذ عام 1945 • فقد كن ثلاثا وثلا ثين في سنة 1944 • ولم يبق منهن اليوم الا تسع نائبات يلزمن الصمت . ما السر فى عدم الاهتمام هذا ؟ حقا ان الرجال يتسببون فيه • لكن المسؤولية فى ذلك تقع على النساء أيضا • وليس لى من الوقت هنا ما يسعنى لمحاولة اعطاء تفسير • ولنبادر الى القول بأن سياسة الرجال غالبا ما تشبه ألاعيب بلاغية حول مصالح محدودة رديئة (تخوفات صغيرة من التغير ، مخاصمات كبيرة حزبية وشخصية) •

وان هذا النفاق من التحذلق الخطابى وعقمه يبعدانهن • وهذا يعين اخلاصهن وميلهن الى الفعالية • وهذا يجعل تدخلاتهن فى الحياة السياسية خلال حقب التاريخ تدخلات قصيرة وخاطفة فى آن واحد ، **فهن يوقفن الهدير المستمر لصغار الانانيين** •

ويبعثن الافكار المنسية من جديد : « انتيغون » ، « الحب » ، « جان دارك » ، « الوطن » وماذا نقول فى المعارك التى تخوضها اليـوم فى سبيل قضيتنا أمثـال « قـايس » ، « بوفوار » ، « حاليمى » ، أو « فاى » • ذلك لان المرأة تظل مرتبطة بكل حواسهـا بمتطلبات الحياة الاساسية • وبهذا العنوان هى موهوبة للتسامى • وهذا على ما يبدو ـ هو السبب فى كونها غالبا ما فنعـت حتى الآن وضد مصلحتها الخاصة ببيتها أو بمعتقداتها الدينية التى تمدها باجابات أكثر مباشرة لتطلعاتها •

ومع ذلك يعلم الله (والازواج كذلك) أنها حتى فى هذا المجال عوملت بقساوة •

3 ـ 3 فن من المبادلة فى التعامل :

لم تكن الديانة المسيحية (وأنا أقتصر عليها لمعرفتى الجيدة بها) لطيفة حيـال النساء ومع ذلك فهن لا يحملن أى ضغينة لها • واذا كانت الكنيسة قد دأبت على هذه القساوة ، فانما على البيت كذلك • فيما اظن الى تواهن ومثل هذه الملاحظة صادقة على البيت كذلك • واستغربوا هذه المفارقة • المرأة تحب تلقائيا بيتها وزوجها وابناءها وكان من الواجب أن يكون هذا فى صالح الجميع • لكن ليس الامر بمثل هذه السهولة فهنا أيضا يرتاب الرجل من السعادة الانثوية ، ومن القوة الانثوية فهو يخشى منافسة النساء فى الداخل كما كان يخشاها فى الخـارج • فهـو لا يريدها حـرة قوية لا هنا ولا هناك • انه يفضلها مستسلمة وحاضرة فى كل مكان كما لو كانت غائبة • وبذلك يكون له السلطان وحده •

هذا الذى يجعل مخاصمة النساء الكبرى لا تبدو لى ـ خلافا لما يقال فى غـالب الاحيان ـ مقتصرة على محاولة هروب من البيت واندماج فى الحياة العامة • فليس هذا الا جانب من جوانب كفاحها • فهن ، على الاجمال ، انما يسعين الى التحرر لكن فى البيت وخارج البيت معا •

يجب أن يعاد النظر فى العلاقة بين الرجل والمرأة فى الحياة الخاصة وفى الحيـاة العامة • ومن الواجب أن تتغير العادات والاخلاق وكذا القانون فى مجتمعاتنا الحديثة • ولا ينبغى للتنافس وازاحة الخصم أن يحكما فى علاقات الافراد فيما بينهم ، بـل

التضامن ، والصداقة ومرونة العلاقات الانسانية . وفى هذا الاصلاح الواسع تحتل العلاقة بين الرجل والمرأة حيزا أساسيا . فهى بداية كل شىء وانى لاكرر بأن أى أمة تتغاضى عن الظلم المنزلى ستكون أبدا عاجزة عن اقرار العدل السياسى وستعيش فى عنف كامن ومدار . وستعود أبناءها على النظر الى هذا العنف كما لو كان ضربا من المشروعية . فالديمقراطية تستقر أولا وقبل كل شىء فى البيت حين يكون الرجل والمرأة متحدين ، ومتحدين فى رفق ، ضمن احترام وتفانى كل منهما فى خدمة الآخر . والديمقراطية تبدأ بالتعامل المتبادل بين الزوج والزوجة .

ولا يتخيلن أحد ان هذا يتطلب من الرجال تضحيات جساما بل عليهم أن يتصوروا ذلك الثراء الخارق الذى ينتظرهم : فهم يخسرون شيئا . ولكنهم يكسبون موضوعا . لقد كانوا يملكون شيئا ماديا ، وهم يملكون الآن كائنا حيا . هذا ما يريده النساء . فعلى كل واحد منا أيا كان ، وأى كان أن يكون له ميل الى منح الحياة للغير بدلا من سحقه . وما من أحد فى العالم هو حى بالقدر الكافى . بدءا منا نحن أنفسنا . علينا أن نمنح الحرية والبهجة ، والفكر وسنرى أننا انما خلقنا بذلك حريتنا وبهجتنا وفكرنا بموجب مبادلة تعامل قد مارست النسوة على الدوام تجربتها الصامتة . فنحن كلنا ازاء بعضنا البعض بمثابة صناع أننا نصنع بعضنا البعض . نكون جمادا فى البداية ثم نغدو أحياء مثلنا فى ذلك مثل النحات الذى يبدع من المادة التى لا شكل لها حركة جسم مرنة .

وفى هذا الافق نلغى السياسة أشبه ما تكون بعمل الفن .



في قرية سيدى سليمان الاشتراكية :
ويرى في الوسط السيد سالم ولد سالم السالك ، الوزير الصحراوى للاخبار .

ما أعطاه الإسلام للمرأة كافٍ وكفيل بأن يجنبنا التجارب والنكسات

السيد محمد الصادق بسيس
أستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة
وأصول الدين (تونس)



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلاة وسلاما على محمد وآله وصحبه وسلم

قال الله تبارك وتعالى : يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا ، فاما الذين أمنوا بالله ، واعتصموا به ، فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطا مستقيما ٠

ويقول : افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى ، امن يمشى سويا على صراط مستقيم ؟

سيادة الوزير المحترم ،

أيها الزملاء ، أيها الابناء الطلاب والطالبات ،

أنتم تعلمون ان مشكلة كيف يكون موقف العالم الاسلامى من الحضارية المعاصرة طرحت بشكل ملح فى أواسط القرن التاسع عشر ، حين اتصل بها العالم الاسلامى بواسطة ضجيج مدافع الاستعمار ، وصهيل خيوله ٠

وحين بدأ جنين النهضة يتحرك متفاعلا مع رجة الاتصال بين العقليتين : الشرقية والغـــربية ٠

وقد تصدى لذلك التحدى الكبير بعد توفر أسبابه ومعطياته لدى الشعوب الاسلامية المغلوبة والتى ضربت عليها الذلة والمسكنة من عهود الاستبداد والاستعمار انه المصلح الاسلامى جمال الدين الافغانى ، بدعوته الاصـــلاحية التى استقطبت هذه المبادىء والعنـاصـر ٠

ايقاظ العالم الاسلامى من رقدته ، ومقاومة الاستعمار أنى كان واخضاع امرائه الى ارادة الشعوب بالحكم الشورى العادل، وتمكنه من وسائل روحية دفاعية لحماية وجوده الهزيل أمام أهوال الاستعمار المادية والفكرية ، ودعوته الى تعميق الفهم للقيم التشريعية والروحية ولم الجمع المتفرق المبعثر بالوحدة الاسلامية ، والتوفيق بين جوهر الحضارة ، وتعـاليم الاســلام ٠

وأنتم ترون ان هذه الاقطاب كانت مـــلائمة لـــروح ذلك العصر ورائمة حصانة المشخصات القومية من التيار الاستعمارى المهدد لها بالزوال ، لانها تجمع بين الأصالة والتحديث أو بين الصالح من التراث ، والصالح من المدينة ، ولكن نزعته الاصلاحية كانت دفاعية ، لا تخطيطية منهجية حسبما يقتضيه زمانه ، وواقع العالم الاســلامى عصرئــذ ٠

فهو لا يريد قطع الصلة الوثقى بين المجتمع الاسلامى ، وجذوره الحضارية كوسيلة معاوية للدفاع عنها تجاه الغزو الاستعمارى ، واستمرت مبادىء ذلك الاصلاح ماثلـة معالمها فى الحركات الاصلاحية الاسلامية التى قامت فى بعض الاقطــار الاسلامية ، وتجلت بشكل علمى فعال فى حركة جمعية العلماء هنا فى الجزائر بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ٠

ولا ننسى مع مضى الزمان ، وبعد الحرب العالمية الاولى ظهور تيار آخر يزعم الاصلاح وقد أخذ بيد مقاليد السلطة فى بعض الاقطار الاسلامية فحاول بداء الهيكل الاجتماعى الاسلامى على الواقع الحضارى وبعده صارفا نظره عن الماضى بما فيه من خير وشر ، واشراق وأظلام ، فهو سياسيا تبنى مفهوم الدولة اللادينية ، رافضا ان يكون الاسلام

دين عقيدة وشريعة ودولة ، ودعا الى تحرير المرأة تحريرا لا يعترف بموقف الاسلام ، وحتى الحرف العربى تجنس بجنسية ايجابية وحتى لسان القرآن ، ترجم الى اللاتان ٠

وكان لهذه النزعة المعراة من كل ما هو اسلامى اتباع فى جميع البقاع فهم يجرون لاهثين وراء الغرب الذى خرجهم باساليب تعليمه وتربيته فى أوائل هـــذا القرن عندما كان الجبروت الاستعمارى فى عنفوانه المادى والفكرى وكان الوضع العام فى الاقطار الاسلامية لا يدعو للتفاؤل بالخلاص والانقاذ ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا وهج الفتنة فذابوا مثل الشمعة وفقدوا شخصيتهم كما يعبر اقبال ، وكان لهذا النصر تداول وفروع ما تزال تتفنن فى هندسة مستقبل العالم الاسلامى على معمار أجنبى ، وزخرف صنـــاعى ؟

ولا يرد هذا التيار الا اذا قام المعسكر المصلح الاسلامى بمخطط اصلاحى علمى يتجاوز أسلوب الافغانى الى أسلوب عصرنا فى المنهجية والواقعية ... لان معتنقيه فى بعض الافكار يحمونه بالسلطان والقانون ، ويفصلون لقضية المرأة انماطا من اللباس الفكرى تضمن لهم تخريج الاجيال على وفق ما يحبون ، وتأتى المرأة الثانية للتحدى بعد الهزيمة أمام الصهيونية سنة 1967 ٠ ودولة اسرائيل فى نظر العـــرب تمثل فى الشرق الادنى حديقة حضارية غربية ، تحيط بها الصحارى العربية ، التى يسكنها البدو العرب ، ولكن البدو حين اتحدت كلمتهم لاول مرة فى تاريخنا الحاضر انتصروا عـلى الحقيقـة ، وحطموا أسطورة التفوق العسكرى الصهيونى ولكن احدثت الهزيمة زلزلة نفسية فى الشعوب والحكام منها القلق والحيرة والشك والسخط ، لانهم أحسوا جميعا فى كل مكان بوطأة ذل الاستعمار من جديد ومن يومئذ بعثت أسئلة القرن التاسع عشـــر بمظهر اعنف وأقوى : من المسؤول ماضينا أم حاضرنا شعوبنا أم حكوماتنا الى غيرها من أسئلة الادانة والاتهام حتى الخليع المائع المتخاذل من الادب والفن أشارت اليـــه الاصابع بجريمة تكوين المنهزمين وحتى الخطابة الميتة فوق المنابر كان بعضها مسؤولا لانه يخرج لكل موسم خطبة تعاد على مختلف الاجيال منذ قرون ! وانطلقت أقلام المفكرين تبحث عن أسباب أخرى وعلل ، وكان لبعض ما كتبوا حظ من النقد الذاتى الموضوعى ومن الذى يشرح صدرى منها أن العالم الاسلامى اعتبر بها وانتفع بدروس الهزيمة ٠

وكان لابد من حدوث هذا الزلزال للعالم الاسلامى ليعرف عدوه وحلفاء عدوه ، ليعيد النظر فى موقفه من الحضارة أو صانعى الحضارة ، الذين اغمدوا فى قلبه خنجر دولة عنصرية جلدت الارض بكرامة المسلمين، وشردت شعبا ما زال جرحه داميا من فظائع احفاد الصليبيين، الا ان هزيمة مرة المذاق والاحراق تفتح العيون وتلقن العبر خير لامتنا من انتصار يورث الغرور والاعجاب، وما زال العالم الاسلامى يعانى رواسب تلك الهزيمة رغم انتصاره فى رمضان ، وما مآسى الحرب الاهلية بلبنان عنا ببعيدة وعساها ان تكون خاتمة الكوارث ، ان للكوارث فى هذه الدنيا نهاية !

مجتمعاتنا فى منزلة بين المنزلتين :

يرى بعض المفكرين أن المجتمعات الاسلامية تعيش الآن فى وضع يمكن أن نصفه بأنه : منزلة بين المنزلتين ـ فى مختلف ألوان النشاطات والقطاعات ، مثلا : نحن فى الانتاج بين الطرائق القديمة ، والمرحلة الرأسمالية ، وفى السياسة بين دولة القرون الفردية الاستبدادية والليبيرالية والاشتراكية ، وفى الاجتماع بين أشد التقاليد التى انقرضت دواعيها ، وبين الانفتاح على الحديث ، وفى قضية المرأة بين اسدال الدستور والقبوع فى الخدور ، الى التحرر المطلق من كل القيود والحدود ، وبين المرأة البدوية الساذجة التائهة ، والاخرى التى تفرنست قشريا ، وتأمركت صدفيا فهى ما تزال تعيش على نسب متفاوتة قوة وضعفا بين جاذبية قوية معاصرة ، تفرض عليها لكى لا تبقى متخلفة تنظر الى الوراء أن تأخذ من هذه الحضارة ما لابد منه ، بعد أن تحررت سياسيا ، وأصبحت تفكر فى أن يكون دورها الحضارى ابداعيا لا تقليديا بعد قرابة قرن من الاحتكاك بالغرب وهى أيضا بين مراس تاريخية غلاظ ثقال تحاول اغراقها فى حمأة الماضى بما فيه من جمود وخمود وعقم وافلاس أمام شعوب ذات مدنية لا ترحم المتخلف المهيض الجناح عن سربها الطائر فى الآفاق ، وهندستها التقنية التى استخرجت كنوز الارض فكانت لبعض الشعوب نقمة وللرشداء نعمة **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة)** . اننا لسنا وحدنا الذين مرت بهم هذه الازمة الانتقالية، وحاصرهم تحدى التطور ، ويتجلى بارزا فى تحول المرأة من حال الى حال والمجتمع يدفع

ضرائب التحول التاريخي جعله الله الى خير · هذه أوروبا فى العصر الوسيط مرت بها تجارب ونكسات واخطاء ولكن الخطأ غالبا يسبق الصوات ، والانتفاع بالتحليل الناتج عن التجربة أفضل من التقرير النظرى ·

وهذه أمم معاصرة شرقية كالصين واليابان شقا طريقهما الى حسنات الحضارة مع الحفاظ على المقومات الخاصة · ان هومومنا الكبرى تتجسد الآن فى الخروج من التخلف ، والخلوص من هذا الجلدى الذى منع براعمنا من التفتح ، وعطرها من الانتشـار ، وجمد دم الشباب فى حضارتنا فتصلبت منها الشرايين ، وكاد يقطع منها الوتين !

حقا أقول : انى عندما حضرت جلسات الملتقى العاشر للفكر الاسلامى فى العام الماضى ، وسمعت زملائى يتحدثون كيف انتفع الغرب بحضارتنا فى العصر الوسيط ، وكيف نصب الغرب الجسور للعبور الى مراكز الاشعاع الحضارى فى العالم القديـم عصرئذ مثل : الاندلس ، وصقلية ، والقيروان ، وبغداد ، وبجاية · آنئذ ازددت يقينا وادراكا بأن تراثنا عاش فى حضارتهم ومات عندنا على السنة شعراء الافتخار بسوق عكاظ ! (**والله لا يحب كل مختال فخور**) ·

كان أحرار الفكر ورواد المعرفة فى عصر النهضة الاوروبية بين تيارين فى ذلك العصر لا ثالث لهما · يونانى وعربى ، انهم نظروا فلما علموا أن القيم الحضارية مـن يونانية ورومانية استنفدت أغراضها ، وتجاوزها الزمان ، وان الفكر اليونانى الذى هيمن قرابة ألفى سنة على مجرى التاريخ الفكرى أصبح متحجرا عقيـما لا يعطى جديدا ، فرفضوه فى نطاق التفكير العلمى التجريبى ، وخلعوا أرسـطو وافلاطون وسقراط من دولة الفكر ، ولكنهم أبقوا من التراث الصالح فى مجال مفاتن الفنون ، وروائع الآداب · أما الحلقة الحضارية الاسلامية فهى التى كانت عصرئذ البكر المنجاب المعطاء ، فاقبلوا عليها يترجمونها ويعالجون أمراض ابدانهم العليلة بقانون ابن سينا ، وينكسون الخرافة من عقولهم بفلسفة ابن رشد · هذا منهاج قدمته لنكون على بصيرة ورؤية فى الاقتباس الحضارى ، ولكى نعالج به مشاكل تخلفنا بما فى ذلك قضية المرأة ان كنا حقا جادين فى الخروج من ظلمات المحاق الى فجر التسابق واللحاق ·

المرأة بعد عام المرأة :

ماذا يعنى هذا العنوان المبهم الغامض ؟ وما القصد من اثارته ؟ أيـة امـرأة فى مجتمع ما يقصد ؟ وهل كان مصيبا فى وضعها نقطة من نقاط هذا الملتقى ؟ أظن أن واضعه كان يحس احساسا نفسيا بأن قضية حقوق المرأة وواجباتها ، لابد من اثارتها اثارة ماتعة لذيذة ايجابية كانت أم سلبية ولعله ادرك كما أوقن أنا بأن توعية المرأة لاداء واجبها مقدم منطقيا على أخذ الحقوق فى مثل مجتمعاتنا المحتاجة الى الاخذ أكثر من العطاء ، على ان قضية المرأة ما تزال مطروحة الى اليوم فى مجتمعات التقدم والتخلف وستبقى مطروحة الى مدى بعيد لان طموح المرأة دائما فى مزيد . فلم لا تطرح الآن عندنا على بساط الدرس ، وتقلب على جميع جوانبها لعلها بعد النقد والتمحيص تصبح قضية محكوم لصوابها والصلاح، ومحكوم على باطلها بالنقص والرفض فتضعف ضجة المتطرفين واستغاثة المعتدلين أو لعل الواضع لهذه النقطة استشعر أنه بعد عام كامل خصصته منظمة الامم لدراسة الموضوع ؛ ومع ذلك لما تتضح بعد الدراسات والمؤتمرات بصفة نهائية معالم الطريق فى علاج القضية ولذلك أثارها واظنه اراد أن يثيرها فى هذا الملتقى الاسلامى الذى عودنا فى ماضيه طرح بعض ما يعانيه المجتمع الاسـلامى مـن مشاكل ليست لها حلول حاسمة ، يحاول المتدارسون الوصول الى شبه حل أو بعض حل ! ومنه تأخذ المرأة المسلمة عامة والجزائرية خاصة ، وهى فى طور هبوبها الى تطور جديد، ولم لا يكون قصد واضع النقطة ذلك ، وهذا مالك بن نبى المفكر المصلح الجزائرى يقول عن أهداف الجزائر بعد استقلالها ، ان المسألة تنحصر فى عمل شعب قـام بانجاز ثورته لكى يقذف بالمحتل خارج حدوده ، وهو يريد أن يرسى داخل هذه الحدود نظاما عاما ، وشكلا من الحياة يمكن فيها لكل جزائرى أن يجد كل الدوافع ، وكـل الضمانات الضرورية لوجوده ، وقد كان الفلاح الجزائرى يناضل من أجل استقلال الجزائر ؟ وهو واع بانه شخص عربى مسلم ، فكل سياسة لكى تعرف نفسها كسياسة جزائرية يجب ان تظل وفية لينابيعها الروحية .

ولعلى بعد هذا أكون معذورا فى الادلاء بهذه التساؤلات، اذ ان الشان فى الشىء المبهم أنه يدعوك للبحث عن هويته ، والفارس الذى يلقاك ملثما شاكى السلاح أخطر من الفارس السافر الاعزل ؟

وأنا بصفتى مسلما أدرك ما فى الاسلام من قيم عقائدية مثلى ، وتشريعات حكيمة عادلة ، ومثل أخلاقية عليا ، وأومن من أعماقى بأن ما شرعه الاسلام من أحكام لعلاقة الانسان بربه ، وبأخيه الانسان ، وبالكون معاشا ومعادا هو الحكمة وفصل الخطـاب وأنه حينما تكون المصلحة فثم أوامر الله ، واينما تكون المفسدة فثم نواهى الله حتى قال علماؤنا : اذا أردت أن تعرف مواقع المضار والمنافع فعليك بمعرفة أوامر الله ونواهيـه ٠

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا ، فاما الذين آمنوا بالله ، واعتصموا به ، فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطا مستقيـما ٠

ان الاحكام والحلول تختلف باختلاف الفروق بين مجتمع وآخر مهما طغت هذه الحضارة بوسائل التبليغ والتأثير والشمول ولعل من أفدح اغلاطنا فى دعوتنا لاصلاح مجتمعنا اننا نتأثر بسرعة غريبة ، وبحساسية مرهفة حين نرى ما يجرى عند اصحاب الواقع المتحضر ولتكن قضية المرأة مثلا فنحن سرعان ما نصبح مبهورين مشدوهين وتأخذنا أخذة السحر ولعا بتقليد المغلوب للغالب ، والراجل للراكب ، قد يكون ثمة مريضا واحد ، والاعراض متحدة ولكن تبقى فروق دقيقة فى المزاج والمناخ ودرجة العمـر مثـلا ولا يبصرها المتطبب العجول الدجال ، ولكنها لا تخفى مراعاتها على الطبيب النصوح الحـاذق ٠

وأنا اخشى ما اخشاه من خطر بسبب التمزق الفكرى والآراء المتنازعة فى قضية امرأتنا ، فهناك تيارات ومذاهب فى قضية المرأة بعضها متطرف فى تقليد الدعـوة الى التحرير ، والآخـر متزمـت عاكف عـلى اصنـام الجمـود ؟ أخشى ما اخشاه مـن خطـر التطـرف والجمـود ان ينطبـق عـلى الطرفـين مثلنـا الشعبى التونسى البليغ : (يدعى الطب ويموت بالعلة) ٠ حقا ان عدم وصولنا الى نتـائج

عملية مفصلة على مقاس قدودنا رغم طول المدة فى الانطلاق نحو محاولة الاصلاح لا يعود الى انعدام الوسائل وانما يعود الى فقد التفكير العملى الجسور • من أجل ذلك قلت لنفسى وأنا اقرأ نقاط الملتقى : لم لا اختار القول فى نقطة موضوع المرأة ولا شك فى انك ستسمع الى ما ترضاه وما ترفضه ، فقدر اذن لرجلك أرضا صلبة تنطلق منها وانت واثق بانها تقيك من الضلال والعثار ، وتحميك من الميل الى أى تيار ؟

خاصة ومضمون كتاب الدعوة الى الملتقى كان مثيرا الى الصيال والجيال ، فالملتقون انماط فكرية بعضها منسجم متقارب وآخر متمرد ، ومعارك الفكر يحلو للنظارة ان يشهدوها لما فيها من روائع تنجب الحقيقة الخالصة ؟

قالت لى نفسى :

افترض انك ستسمع الى من يرضيه ما اعطاه الله للمرأة وان له ملاحظات وتنقيحات على القانون الالهى ، ومالك لا تفترض شيئا صدر من الافراد والحكومات **(أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون)** ؟

ولم لا يقع ذلك وباب الحرية مفتوح على مصراعيه للملتقى أأدخل الملتقى وأنا شاك لكى أخرج من بعد النقاش والانفضاض الى اليقين ، وما يدريك انى أبقى على شكى ، خسرت اذن وما أنا من المهتدين ان كان حضورى هنا لاجرب دينى « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون انهم مهتدون** » وعزمت أن ادخل ميدان المعركة بين التيارات المتضادة وقد اعددت قاعدة لا اخونها مدافعا أو مهاجما وهى أن الاسلام عندى هو كما وصفه القرآن : دين الفطرة • والدين القيم ، والصراط المستقيم ، وانه فيصل الحكم فى معترك المذاهب وليكن عنوان كلمتى هو : ما أعطاه الاسلام للمرأة كفيل بأن يجنبنا التجارب والانتكاسات •

« وأسروا قولكم ، أو اجهروا به ، انه عليم بذات الصدور ، الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير » •

وأملي أن ينفض هذا الملتقى في هذه النقطة الخطيرة التي يهندس فيها مستقبل اجيالنا ان صوابا وان خطأ ، وقد وضع منهجا لا أحب أن أصفه الا بالعملية والتنفيذ ، ويحقق توق المجتمعات لحل المشكلات التي طال عليها الامد وهي تؤلم النوعين الرجل والمرأة في البيوت والمجتمعات وعسى حكومات الشعوب الاسلامية أن تتبناه تبنيا قانونيا كخطوة عمل ، تلك الحكومات التي تنص في دساتيرها على أن الاسلام دينها ، والعربية لغتـــها .

والا فان الشعارات الخادعة ، والعناوين البراقة مصيرها هو مصير من قال الله فيهم « **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم ، وما يشعرون** » .

قبل كل شيء أحب أن اتساءل عن مصير الحلول الاسلامية لمشاكلنا بهذا السؤال . هل نحن حقا مسلمون ملتزمون ، وأرجو أن يكون ذلك من نصيب ايماننا لينطبق عليها قوله تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما** » .

والا يكن ذلك فان الامام الغزالي كثيرا ما ردد في الاحياء قوله : « كن يهوديا ، والا فلا تلعب بالتوراة » !

ان كانت حضارة أوروبا قد فتنت عقولنا وضمائرنا واذواقنا ، الى حد أصبحت فيه هي المثل الاعلى في كل شيء ليكن الانفصال صريحا ، أولى من الانتساب الى الاسلام بالنفاق والرياء ، والادعاء والولاء .

وليس بغريب عنا مفهوم الالتزام فهو ركن النجاح لكل حركة تقوم الآن ومما يدل على أننا لم نتحل بعد بهذا المبدء جادين : أن تجارب المذاهب المستوردة في بعض انظمة الحكم والتعليم والاقتصاد والاجتماع كثرت فيها التجارب وأنا لا أصفها بالفشل فلها منها عليها شواهد وأنتم تعلمون أن الطب استخدم أنواعا عدة من الحيوانات كالاغنـام والارانب والقطط والديكة واليرابيع ونسيت أن اذكر القرد فهو الذي تقع عليـــه التجربة حيا وميتا وجنينا لان القرد مثل في حب التقليد ، وهو الذي لـــم يرض به الاسلام في العقيدة والتشريع والاخلاق ممن لاذ بالتمسك به .

قد يقول قائل : ما لفلان يلح هذا الالحاح الاكيد على قضية التحرر من مواريث الماضى ، ورواسب التقليد للحضارة المعاصرة ؟

وجوابى : سر ذلك أننا فى عهد نضالنا الوطنى ، كنا متمسكين تمسك الغريق بمنقذه بمشخصاتنا من دين ولغة وتقاليد أنها كانت لنا حصونا معنوية فى جميع الاقطار الاسلامية استنقذتنا من محاولات مشروعات الابتلاع فى أفكار المغرب كمشروع التجنس فى تونس ، ومشروع فيولات الادماجى بالجزائر ، والظهير البربرى بالمغرب والحكم الفاشيستين بليبيا ، أما الموقف اليوم بصراحة فانها بين ملحد رافض وبين شاك ساخر ٠

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

أيكون الاستعمار بعد رحيله وطرده داهية الى هذا الحد ونكون نحن واقعين فى شبكة مكره وكيده فى عهدى : الاستلاء والجلاء أهى القابلية للاستعمار سافرا ومقنعا ضربت علينا أبد الدهر ولا أظن الاستعمار عندما كان يحاربها ويظلمها كان أحمق عابثا فلولا أنه يعتقد أنها طاقات حضارية دفاعية وهجومية ما حارب الاسد القط !

عطاء الله للمرأة المسلمة :

يقول الله تبارك وتعالى : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا** » ٠

ولا أرى داعيا يدعونى الى الوقوف أمام وضع المرأة قبل مجىء الاسلام ، وانبلاج نوره ٠ فالمصادر والمراجع كفيلة بالافادة أولا ، وثانيا : الوقت محدود ، وبحر الموضوع مسدود ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الصحيح : (انما النساء شقائق الرجال) أى فى الاعتقاد والاحكام والاخلاق ٠ أرونى كلمة كرمت المرأة هذا التكريم الحفيل أو شبهها من الحضارات السابقة من يونانية ورومية وفارسية وهندسية « **أو من كان ميتا فاحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات**

ليس بخارج منها » الا ترون هذه الآية التى صدرت بها سورة النساء كيف تخاطب الناس جميعا داعية الى أن الله يريد منهم كما يقول العالم المرحوم محمد المدنى :

أولا : الغاء الفوارق الطبيعية بين الناس ٠

ثانيا : الغاء الفوارق الدينية والعنصرية ٠

ثالثا : الغاء التفاوت فى الوزن الاجتماعى بين الرجل والمرأة ٠

رابعا : غرس الوازع النفسى فى المجمتع ، وهو المعبر عنه بتقوى الله ٠

خامسا : أحياء عاطفة الرحم الانسانية المعبر عنه بتقوى الارحام ايذانا بأن حق ذوى الارحام فى البر والصلة مستمد منه سبحانه فلا تحرموها من بركم ، ولا تقطعوها من وصلكم ٠

ولكن يجب أن لا ننسى بعد هذا أنها لم تلغ التفاوت الطبيعى بين الرجل والمرأة ، كما أنها لم تجعل الرجل والمرأة سواسية فى جميع الحقوق والواجبات ، بحيث أصبحا متساويين حتى فيما فرضته الطبيعة أختلافهما فيه ، بسبب التكوين والوظائف والملكات المغروزة فى الرجل والمرأة ٠ وعليه فان السورة قد قطعت الطريق على من يتوهمون ذلك أو يريدونه حيث يقول الله فى اثنائها : « **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما أكتسبوا ، وللنساء نصيب مما أكتسبن ، وأسالوا الله من فضله ان الله كان بكل شىء عليما** » ٠

فالله جل جلاله قد أكسب كلا من النوعين خصائص وطاقات واقام فوارق طبيعية لكل منها ما يختص بـه من أعمال لان الطبيعة لا تنشىء نوعين مختلفين لتكون لهما صفات الجنس الواحد ومؤهلاته ، وأعماله وغايات حياته كما يعبر العقاد رحمه الله ٠

وعندما نعود الى القرآن مصدر الشريعة الاكبر نجده قد عنى بالمرأة عناية فائقة ، وشرع لها الاحكام ، واحاطها بعنايته فى أكثر من عشر سور ، وفيه سورتان سميت الاولى سورة النساء الكبرى ، وهى النساء ، وسورة النساء الصغرى وهى التحريم والحديث عن المرأة يلقاك وأنت تتلوه متدبرا فى سور : البقرة ، والمائدة ، والنـور ، والاحزاب ، والمجادلة والممتحنة والتحريم ، وتعالوا معى الآن الى استعراض الآيـات

القرآنية ، والاحاديث النبوية التى يكرم اللـه المرأة فى مظاهر متعمدة نعد منها ولا نحصيها احصـاء .

أولا : تكريم الله المرأة كانسان فقال : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » .

ثانيا : أبطل وأد البنات وحرمه ، وقد كان منتشرا فى بعض القبائل العربية فقال : « **واذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت** » .

وقال : « **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم** » ، وبهذا أضمن لها حقهـا فى أن تعيش ، بعد أن كانت حياتها مهددة بحفرة ترمى فيها غيلة ، ويهال عليها التراب وهى تستغيث .

ثالثا : أنكر على الرجل الجاهلى التشاؤم والتطير من ولادة الانثى والسخط علـى امرأته فقال مصـورا تعاسته النفسية ومهانتـه بـين النـاس ببـلاغـة القـرآن : « **ويجعلون لله البنات سبحانه ، ولهم ما يشتهون ، واذا بشر احدهم بالانثى ظـل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون ؟ أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون** » .

وأعلن أن الذكر والانثى كلاهما نعمة من اللـه بها على عباده تستوجب الشكر فقال : « **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ، وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة** » . وفسر الحفيد ببولد البنت أو الابن ، ذكرا كان أو أنثى .

رابعا : وهذا الحديث يكرمها كبنت فيقول صلوات الله عليه وسلامه : « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها » الحديث .

خامسا : وكزوجة فقال تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لايت لقوم يتفكرون** » .

سادسا : رغب فى تعليمها فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » (1) ، وفى الحديث الصحيح : « **نعم النساء نساء الانصار لـم**

---

(1) ليس فى خاتمة الحديث : ومسلمة كما هو شائع والمرأة داخلة فى الامر لان كل من ألفاظ العموم عند الاصوليين .

يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » ، والعلم الواجب على المرأة تلقيه يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال لان فروض الكفايات اتسعت دائرتها اليوم ٠

سابعا : واغدق عليها التكريم كأم فقال صلى الله عليه وسلم : « **الجنة تحت أقدام الامهـــات**) ٠

ثامنا : مكنها من حق الميراث أما كانت أو زوجة أو بنتا ، كبيرة كانت أو صغيرة أو حملا فى بطن الام بعد أن كانت هى ميراثا فقال : « **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضـــا** » ٠

تاسعا : نظم حقـوق الزوجين ، ووضع لها حقـوقا كحقوق الرجال ، مع قـوامة الرجال عليها ، ورئاسته للاسرة بالشورى فقال : « **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة** » ، فكل ما يحق للزوج ان يطلبه من زوجته من أمور مشروعة يحق للزوجة أن تطلبه منه ، وكلمة المعروف فى سلك التركيب القرآنى بليغة ووجيزة فيما ترمى اليه فهى تعنى من جملة دلالاتها ما هو متعارف عليه انه حق ، والضابط له ان لا يحرم حلالا ، ولا يحلل حراما ٠

عاشرا : اعتبر حق الطلاق للرجال وبغيضا لله سبحانه وفى الحديث : « ما احـل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق » رواه أبو داود ، ومنع الرجال من استعمال التعسف فيه ، فله حد لا يتعداه ، ولايقاعه مشروعا وقت معين ٠

حادى عشر : جعل البنت قبل البلوغ تحت وصاية أوليائها ، وولاية رعاية لتربيتها ، وتصرف سديد فى مالها ، واعتبرها أمانة عند الولى ، وحذر ان تكون لابويها فتنـــة بالهائها أياه عن ذكر الله أو مخالفتها لشرعه اذا حاولت تجاوز حدود الله تعالى فى السلوك وهى بعد البلوغ يحق لها أن تتمتع بالالتزامات المالية : البيـع والشراء والاقـالة ، والخيار ، والصرف والشفعة ، والاجارة ، والرهن ، والقسمة ، والوكالة ، والكفـالة ، والصلـح ، والشركة ، والمضاربة ، والهبة ، والوديعة والوقف ٠٠٠ الخ وما يتبع ذلك من حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضى أمام المحاكم فأنتم ترون مـن خلال ما سمعتم ان المرأة فى الاسلام لها مكانتها المرموقة ومنزلتها العالية فى الآفاق الانسانية والاجتماعية والحقوقية ٠

شمــول الاحكــام للمرأة والرجل :

وحسبكم بايجاز فى هذا المقام أن عموم الاحكام الشرعية مخاطب بها الجميع الا ما اختص بالرجل والمرأة فيما ورد من نصوص التخصيص فى الكتاب والسنة ، هــذه الاحكام العادلة الخالدة فى جوهرها الربانى الاصيل والتى هى غير قابلة للتغير والتبديل كما يحاول ذلك بعضهم باسم الاجتهاد المرفوض اذ لا اجتهاد مع وجود النص والاجتهاد عند توفر دواعيه قائم على الكفاية العلمية الشرعية المشروطة فى المتعاطين له من العلماء وهو لا يكون فى هذا العصر الا اجماعيا شوريا حتى لا يهدم أحكام الله من فى قلوبهم مرض من اصفار العلماء ، وأصنام الحكام .

« وما كان لمؤمن ، ولا مؤمنة ، اذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون لهم الخيرة مـن أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

« قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمـره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » .

هذه الاحكام هى القاسم المشترك بين النوعين : الذكر والانثى من الجنس الانسانى ومن أجل هذا قرر علماء أصول الفقه : أن صيغ العموم فى القرآن والسنة تشمل الرجال والنساء مثل : من الشرطية وكل ، ولو كانت بعض صيغ آيات الاحكام واردة على ضمير التذكير، التى وان كانت فى أصل الوضع للرجال، الا انها فى مصطلح الشرع مخاطب بها الجميع للادلة الدالة على عموم الشريعة ففى آية مبايعة النساء الواردة فى سورة الممتحنة يشمـل قـوله تعـالى : « **ولا يعصينك فى معـروف** » أى النسـاء المسلمات . جميـع الشريعة الا الاحكام المستثناة ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى عند مبايعة النساء يوم فتح مكة ، وقد نزلت عليه المبايعة يومئذ الى قوله تعالى : « **ولا يعصينك فى معــروف** » .

قالت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان : ما جلسنا مجلسنا هذا ، وفى أنفسنا أن نعصيك ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهن عند المبايعة فيما استطعتن وأطقتن ، فيقلن له : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا . أين هذا الشعور الغامر الصادق بالرحمة

الالهية والمحمدية فى تشريع الاحكام من أولئك الصحابيات الكريمات ، من شعور بعض النساء اليوم اللاتى يردن من ـ الموضة ـ أن تكون ناسخة لاحكام الله ورسوله ، فى ازياء اللباس والتجميل ، والتكحيل ، والتحمر ، والحلى فكانهن من شدة ولعهن بتقليد الغربيات ينتظرن وحيا يتنزل من تأثير الفتنة واحتجاب معالم الطريق الاقوم عليهن !

« ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين ، قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال : لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » .

هدف الاسلام : أسرة سعيدة ومجتمع متكامل :

أثيرت قضية المرأة فى شكلها المعاصر حين هب كل المظلومين فى الارض يطلبون رفع الظلم بعد حرمان دام قرونا طوالا ، وبعد استسلام واذعان وقبول له من المظلومين فالشعوب مطالبة بالحقوق والحريات من السلطة الاستبدادية الوراثية والعمال يحاولون افتكاك حقهم من جشع أرباب المعامل والمزارع والمستعمرون يناضلون المستعمر ليستردوا الحق السليب ، والحرية الضائعة وما من شك فى أن المرأة فى عهود انحطاط الرجل نفسه كانت مظلومة لا من الرجل وحده ، بل من الوضع المنحط العام فى السياسة والاقتصاد والاجتماع فالنوعان كانا فى بؤس متشابه ، فالرجل مظلوم وظالم والمرأة مظلومة وظالمة ، لان الجهل الجاثم على العقول ، والجمود الخانق للعزيمة ، والخنوع المطلق لرجال الدين ، كل هذه العوامل تشد الانسان الى الارض والعبودية ولا تعرج به الى آفاق الحرية وهى التى جعلت الجميع خاضعين ان طوعا وان كرها لظلم الطغاة فى تلك العصور .

هذا هو الاطار الصحيح الذى يجب وضع قيام قضية المرأة فيه وهذا هو المنطلق الاول الذى حرك الجامدين هذا الموضوع وما زلنا الى الآن نسمع القاعدين من الرجال والقواعد من النساء حين يحيق بهم الظلم السياسى والاجتماعى ، وتنهال عليهم المصائب ، ويبخسون حقهم من السلطان فى المجال السياسى والاقتصادى والاجتماعى تسمع منهم تمنى حصول الآمال بدون أعمال وهو موقف العاجزين أما موقف الارادة الشعبية التى تفرض على

الحاكم تغيير الواقع البغيض لا على هواه السياسى المتقلب ، بل على هوى الارادة الشعبية التى كانت عبر التاريخ هى اداة التغيير فى تاريخ الشعوب التى كانت حياتها تؤرخ ، بعهود الملوك ، فجعلتها تؤرخ بثورات الامم ومن التجنى الصارخ والاتهام المرفوض أن يحصر مصدر ظلم الرجل للمرأة ، وأنتم عالمون بما يترتب على هذا الموقف من تخريب للاسر وعداء بين عناصر المجتمع وأن تتحول المطالبة بالحق الى خصومة ضاربة حاقدة بين عنصرين متكاملين ، وكيف تسرى العدوى الى براء الاطفال ومستقبل الاجيال ذلك ما حدث بالغرب أمس ، وسرعان ما تسرب الينا اليوم وهكذا فرضنا على أنفسنا شغفا بعبادة الغرب بل بعبوديتنا له أن نستر عرينا بما يطرحه الغرب من أثـــوابه الهدوم واسماله البالية القذرة ! وانك لترى هذا النمط من التظلم ، وتستمع لهذه النغمـــة الناشزة عندنا فى أقلام الداعين الى انصاف المرأة فى المقالة والخطبة والقصيدة والقصة والاقصوصة والتمثيلية والملتقيات والمؤتمرات والتوصيات ولا أدرى لماذا هذا الحملة المسعورة والتى قصدت أم لم تقصد أخطأت أم أصابت فى الاجتهاد ولا تفسير لهـــا عندى الا تقويض جسور التفاهم والتكامل بين الشريكين ، وأشعال حـــريق التناكر والتقاطع لمن خلق الله بينها المودة والرحمة وقد شاءت مادة ساس ويسوس وما تصرف منها أن تغتنم هذه الفرصة السانحة السائغة تملقا منها لمشاعر المرأة الرقيقة لتعدها من مكاسب صفها المتعاطف معها فتنزعمت الحملة بما لها من وسائل التبليغ بتسخير القلم المأجور والكلمة الخائنة فازدادت الازمة بين الرجل والمرأة اشتعالا وأصبح الرجل فى المحاكم مدانا مسؤولا وفى نظر المجتمع ظلوما أنانيا ، وفى البيت مصـــدر السلطة مرفوضة ولما دخلت المرأة مجال الشغل أصبح دخلها وسيلة تفوق واعجاب ، وشعرت أو أشعروها بأنها ملكت استقلالها التام فأصبح تشغيلها ذريعة الى ازمات اقتصادية واخـــلاقية باعترافهم ، كما أصبح وسيلة الى عداوة وبغضاء بين قلب خلق ليحب ، وقلب خلق ليحـــب ٠

انها مغالطة كائدة غاشة للمرأة قبل الرجل ، لانها عوض أن تحـــل مشكلة ذات رأس واحد أصبحت ذات راسين ولان ظلمها نابع من مجموع أسباب تاريخية كان فيها الطرفان مهضومان ، كما قال البكـرى : تعجبـوا ٠ وكان الواجب أن يكـون الحـــل

الناصح السديد هو أن توضع قضية المرأة على أساس أنها علاقة بين شريكين ـ تتوزع بينهما الحقوق والواجبات على حسب اختلاف طاقات الوظيفة والاستعداد ، وكلاهما خاسر مغبون اذا اخل بحق شريكه ، ونازعه عمله واختصاصه وكفايته ، مع تفاهم يفضى الى المودة ، وتكامل يقرب من الكمال ، انه عداء يحدث صدعا فى وحدتنا القومية ولعل من يسير ما قدمت ، ومن كثير ما طويت وليست كلمتى متقصية لجميع التفاصيل لتعاليم الاسلام المتعلقة بالمرأة تستطيعون أن تكون معى فى أن الله خالق المرأة هو الذى انصف المرأة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان وهو يحتضر يوصى بالمرأة خيرا ، وأنه من حسن معاشرته لزوجه عائشة لفظ نفسه الآخر ورأسه الكريم بين سحرها ونحرها • ولكن بعد أن وزعنا تركة ظلم المرأة على اصناف من المتهمين يجب أن لا ننسى هذا الرجل المسكين الذى ربما أصبح يكالب بحقه أيضا وان يؤسس الاتحاد الرجالى فى مستقبل قريب يجب أن نعترف بان الرجال فى عصور انحطاطنا وبعدهم عن مبادىء الاسلام حرموا المرأة مما أعطاها الله ، وحجبوها عن نور العلم ، واهملوها من التربية القويمة وفصلوها عن المجتمع،وغبنوا مواهبها بالكبت والحرمان،واعتبروها ظرف شهوة وتحفة متعة ، وطرحوها من قائمة انسان شريك ضرورى للانسان الرجل ، وضربوا عليها حجابا غليظا ارضاء للانانية ، وحبسوها فى البيت للخدمة والانجاب كسجين محكوم عليه باطلا بالسجن والاشغال الشاقة مدى العمر ، ونفوها من الواقع المعاش الى المتوهم المجهول حتى وقف عقلها عن النمو والنضج ، وردم تحت انقاض الجهل ، وانحرفت مشاعرها الدينية الى قباب الصلحاء ، والاستعانة والاستغاثة بهم فى رفع المصائب ، ونيل الرغائب ، والتعلق بتمويهات الدجاجلة من الضاربين على دسوت الرمل مما جعل عقيدتها هى الكفر أقرب منها الى الايمان ، فهى غارقة فى الخرافة الى الاذقان ، وهى مقودة بالتقاليد السيئة ولا تشعر بسوئها من طول الامد عليها فى التدهور والتعود وكانها أصبحت تطبيقا لمثلنا التونسى الشعبى الذى صورها لنا صورة دقيقة لا نجدها فى أدبنا الفصيح ، الذى انهمك خلاعة فى وصف ورد الخدود ، وبان القدود ، وليل الشعور ، وبرق الثغور يقول هذا المثل التونسى : فى النهار دابة ، وفى الليل شابة !

تعبير صريح عما كان فى تونس ولعل المثل صالح للانطباق على الواقع فى العالم الاسلامى كافة ، ومنذ ثمانين سنة ألف عالم جزائرى هو محمد بن الخوجة كتابا سماه (الاكتراث بحقوق الاناث) وكان هذا باعتبار وظيفته كاتبا بادارة الولاية الفرنسية يعول فى اصلاح المرأة الجزائرية على وجود فرنسا بالجزائر فكان على حد قول الشاعر :

ومكلف الايام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

ولكن الكتاب يبقى مع هذا الامل الخائب فى فرنسا أن ما حكاه عن ظلم الرجل للاخت الجزائرية واقع ما له من دافع فى عصره وما قبل عصره ٠

ولا أرى مانعا من ذكر هضم الرجل حق المرأة فى بعض الفئات هنا أو هناك فنحن فى الهم شرق كما يقول شوقى ولكن الذى يمنعنى هو ضغط الوقت على قلمى ، واكتفى هنا بذكر أرقام الصفحات التى أحيل عليها ص : 30 ـ 32 ـ 34 ـ 53 ـ 44 تشير الى ظلم الرجل للمرأة أما صفحات 64 ـ 92 ـ 97 فهى نقد اجتماعى لحالة المرأة الجزائرية عصرئذ وعلى ما فى الكتاب من أمل ضائع فى اصلاح المرأة على يد حضارة فرنسا التى طالما سمعنا بأن لها رسالة تمدينية فى مستعمراتها ٠

فانه يحتوى على نقد اجتماعى ، وانارة لتحرير المرأة تحريرا اسلامية ، وفيه ملامح عن حال المرأة والرجل فى المجتمع الجزائرى صالحة لمن يريد البحث ، والدرس من أبناء وبنات الجامعة الجزائرية ولما اتصلنا بالغرب ونعم الاتصال فى مظاهره الحسان وبؤس الاتصال فى سلبياته ، نادى المنادون بتحرير المرأة وكانوا أصنافا ، هذا يدعو الى أحياء التشريع النسائى الاسلامى ويرى فى ذلك اعادة الاعتبار للمرأة كمساوية للرجل ، وصيانة لها مما تردت فيه المرأة الغربية ، وآخر يحب أخذ الحضارة مرة واحدة ينادى بلا فرق ولا تمييز فلتكن المرأة عربية أو لا تكون عنده ٠

وكانت المرأة وهى مثال الطموح ترى الفريقين ، بل الفرق تتصاول من أجل انصافها وتستمع الى حجتهم حتى لا يبقى نصف المجتمع مشلولا كسيحا ، وفى أثناء هذا الصراع الذى مضى عليه أكثر من نصف قرن بين المعتدلين والمتطرفين كانت ظروف الزمان ، ومتطلبات العصر تحرض المرأة على التحرير من مظالم القرون ، والاندماج ٠

في الواقــع كان بعض النســاء قد انــدفع ـ ولا أعمــم ـ وهــن غــير مستعــدات لتلقى واجبات التطور وحقوقه الى محاولة التحرر فى تهور وسذاجة وبعاطفة لا بعقل وتجرعت من اجــل ذلك الاسرة والمجتمع آلام الارتجــال ، ومــرارة الانتكاس على أن طموح المرأة ـ ولا أعمــم ـ الى أن تصيــر كالغربية فى الشكل والمظهــر دون الصميم والجوهر يجعلها كصدفة جوفاء ملقاة على شاطىء موحش لانها تنسى أن التدرج الطبيعى فى نيل الحقوق ، وقــع حتى فى الغرب ، وتنسى أن اداء الواجب مقــدم فى شعوبنا المتخلفة على حسب الحــق .

فالــرجــل والمــرأة فى مجتمعــاتنــا النــاميــة يجــب أن يكـــون كلاهما معطيين فى سماحة وايثار الى أن يخرج المجتمع من فقره ، ويعافى من مرضه ، ويتحرر من جهله ، ويومئذ تتوفر لديه طرق اعطاء الحقوق كاملة غير منقوصة ، ان سلم الحقوق له درجات والاولى مقدمة على الثانية حتى نصل الى القمــة هاضمين المراحل والنتائج مرحلة ونتيجة نتيجة وكما أن الخطر يكمن فى التخمة من الحرية خاصة اذا كان الجهاز الهضمى لم يتعود الاكلات السمينة ذات التوابل الحريفة كذلك يكمن بمــا هو أخطر عواقب وآثارا حين تجوع الامم الى الحرية ولا تعصاها كحق أول فى الحيــاة حينئذ يكون الحرمان داعية الى الهيجان والثورات وهنا اتساءل ما هو واقعنا اليوم : هل نحن فى تخمة أم فى مجاعة الى الحرية ؟ واخشى ما أخشاه أن يفسر كلامى بأنه حجة صالحة لما يدعيه الدعاة من معاذير الى الحرمان ، لا ، لست أنا هنا محاميا عن قضايا الظلم والحرمان من الحرية ولكننى أقول رأيى وأنا معتبر بتجارب من فتحوا الباب على مصراعية للمرأة لحاجة فى نفس يعقوب بينما الحريات الاخرى التى هى لسان الميزان فى تقييم حــرية المرأة ونقدها وتعبيرها ، معدومة وكيف تغذر على تعبير الذهب الزائف المغشوش من الذهب الا بريز ، بلا معيار الحرية جنس وأنواعها متكاملة كى تكون للانسان كرامة ، والا تكن فلا كرامة بل حيوانية انسانية تأكل اطعام وتمشى فى الاسواق !!

ان المرأة فى العالم المتخلف بصفة عامة ، وفى مغربنا الاسلامى بصفة أخص قاومت الاستعمار بجانب أخيها الرجل ، وضربت الامثال فى الحماس والثبات والمصابــرة والاستمانة دافعة لوطنها قسطا من دينه ، وانها لمدعوة بواجب الى أداء واجب ملح عينى فى عهد التحرر الوطنى الى أن تكون امرأة مسلمة بالمعنى الكامل الملتزم وعليها أن تنشىء

لامتها ووطنها جيلا صالحا، ترضعه حب دينه ووطنه ولغته وحضارته، بعد أن حاول الاستعمار أبادة تلك القيم ليخرج الجيل عاريا من مقومات شخصيته ونحن نحاول فى نهـــاية المطاف من حملة القضاء على التخلف أن تخرج لنا حضارة من لحمنا ودمنا ، من روحنـــا وعقلنا سليمة من الجراثيم التى تنخر حضارة غيرنا معتبرة بالعظات التى قضت عـلى الحضارات بالزوال ، من هو المفكر الرشيد الذى يرفض أننا لسنا فى أكيد الاحتياج الى تقنيات الحضارة المعاصرة ، وهى التى تقتحم الدخول على أبوابنا بلا استئذان وتملك بقوة التأثير وبسرعة الصوت ولكن من الذى يحاول الخروج من التخلف وهو مجمـوع نقائص وعيوب ، ويرضى أن يزيد من كمية التخلف ، ويضيف الى أوجاع المريض كربا بنقائص أخرى ؟ والتاريخ يحدثنا أن كل حضارة تحمل بين جنبيها جراثيم موتها ٠ لقد جربنا العقاقير من خارج مناخنا ومراجنا فما زادتنا الا خبالا ، وكاد أن ينقرض الحيوان السليم من كثرة التجارب فى مجتمعاتنا وأقولها أخيرا على سبيل الفرض والمجاز ، والاسى يفتت قلبى انه بقى علاج نملكه ولكنه مجهول ، ومفترى عليه وانه متهم بكبائر التهم والشبه منا ومن احقاد التبشير ومطامع الاستشراق ، اتدرون ما هو ؟ أمـا اذا سألتمونى فانى اعتقد فى جدوى علاجه لا لمشكلة المرأة فقط ، بل لجميع مشاكلنا معاشا ومعادا طالما ينعق الناعقون أن لغتنا عاجزة عن التعبير عن شؤون الفكر لان نهضة العربية تزحزحهم عن كرسى مستورد من الخارج، وأمتنا تبحث عن الاكتفاء الذاتى فى الكيفيات والكميات ولكنها لا تهضم لغتها لدلال الغوانى من اللغات الاجنبية ، وينعقون بأن الاسلام استنفد أغراضه ، وانتهى دوره فى هذا العصر ليمهدوا الطريق للادينية والفسوق والتفسخ ، ولو انصفو العربية والاسلام لقالوا : نحن وقفنا حضاريا ووقفت اللغة لانها اداة تعبير وعلام تعبر وأهلها بكـم ! واطرحنا الاســـلام جانبا ورميناه بأنه سبب التأخر ونحن الجناة عليه وأصبحنا فى نظر غير ناجحة عليه ، عوض أن نكون حجة له . وهكذا رمتنى بدائها وانسلت كما يقول المثل ٠ وهذا التشريع المقارن الآن يشهد بأن تشريعنا كأنه نزل اليوم من عالم الغيب ليحـــل مشاكل عالم الشهادة ماضيا وحـاضرا ومستقبلا « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** » ٠ نحن فى حضـــارة تجريبية ، فجربوا الاسلام ، وحاشا الذهب الابريز أن يعير ، وحاشا فضل النـور أن ينكره « **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » ٠

والسلام عليكم ورحمة الله ٠



العشاء ، فى خيمة،ضيوفا على بلدية توغورت، عاصمة بنى جلاب ٠

المرأة بعد عام المرأة

د· كيليا سارنيلى تشركوَا
أستاذة بالمعهد الجامعى للدراسات الشرقية
جامعة نابولى (ايطاليا)



حضرات السيدات والسادة ،

أود قبل كل شىء أن أعبر عن سرورى بوجودى اليوم بينكم وعن شكرى العميق لسعادة الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لدعوتى كى اشترك فى هذه الندوة ، كما أوجه شكرى لكل معاونيه فى التنظيم الرائع لهذا الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ·

وقد أتاحت لى الدعوة الكريمة الفرصة لاحضر لثانى مرة الى الجزائر ذلك البلد الذى ترك فى نفسى أثرا لا يمحى ولاعرف أكثر فأكثر هذه الارض محققة حلما كان يداعبنى منذ سنوات ·

ان هذه الفرصة عزيزة على حيث أحمل الى الجميع تحية المعهد الجامعى الشرقى فى نابولى الذى أتشرف بالانتساب اليه وبأن أترجم عن الاهتمام العظيم الذى يوليه معهدنا لدراسة اللغة العربية والعالم العربى وحضارته ٠

وعندما وجهت الى الدعوة لالقاء محاضرة فى أثناء انعقاد هذا الملتقى فكـرت فى اختيار موضوع يمسنا عن قرب وهو « المرأة فيما بعد عام المرأة » وهذا لعدة أسباب :

فقبل كل شيء هناك أحوال المرأة وتغير علاقاتها وكيفيـــة حياتها مما يشكـــل الموضوعات التى تثير النقاش فى هذه الايام كثيرا ليس فى ايطاليا فقط ولكن فى جميع بلاد العالم تقريبا ٠

وأيضا لاننى أعتقد أنه يمكن أن يهمكم عرض سريع لما قمنا به فى بلدى ـ ايطاليا ـ فى هذه السنوات الاخيرة ٠

فاننى أرجو من معالجة الموضوع من جديد معكم ـ أيها الاصدقاء الجزائريون ـ ومع كل من حضر من مختلف البلاد ومن الاستماع الى الملاحظات والى المناقشات أن ننور عقولنا أكثر من ذى قبل وأن نوسع تجاربنا بفضل الاتصال المباشر بتجارب مختلفة ومتنوعة كما أننى أرجو من تبادل آرائنا أن نتمكن من حل بعض مشاكلنا المستعصية أو على الاقل أن يسهل لنا البحث عن مبادرات أخرى بهذا الصدد ، وكل هذا عبر كلام موضوعى هادىء مع احترام الآخرين واحترام آرائهم بواقعية وحداثة وذلك بطريقة تجعل المشاكل أقل درامية وأكثر تقبلا ٠

وكما تعرفون جميعا فقد أعلنت الجمعية العامة للامم المتحدة فى 18 ديسمبر سنة 1972 أن سنة 1975 هى السنة العالمية للمرأة ٠

وقد وافقت لجنة أحوال المرأة التى كانت تعمل فى الامم المتحدة منذ وقت طويل على البرنامج الواسع المفصل الذى كان ينص باختصار على ما يلى :

ـ الوصول الى المساواة القانونية الفعلية بين الرجال والنساء ٠

ـ توطيد التكامل التام للمرأة فى كل مبادرات التطور مع ابراز مسؤولية المرأة ودورها الحاسم فى مجال التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى عـلى المستويين الوطنى والعالمى ٠

ـ الاعتراف بأهمية المساهمة المتزايدة التى تستطيع المرأة أن تؤديها فى ميدان تطور العلاقات السليمة والتعاون بين الدول وتأكيد السلام ٠

وقد كانت موضوعات هذا العام : المساواة والتطور والسلام ٠ وترجع أهميته سواء الى نطاق وحجم الحركة عالميا ، والى اتساع النشاط والى الاصلاح الذى حـاول أن يثيره أو الى اقتراح مشروع منظم يضم المبادىء العامة الهادفة الى ترقية المرأة فى وضع مساواة مع الرجل وأحوال تطور كل المجتمعات أى ليس فقط ترقية أحـوال المرأة ، كهدف قائم بذاته ـ ولكن أنها طريق خير لكل المجتمعات الانسانية ٠

وقد قصدت الامم المتحدة باعلان السنة العالمية للمرأة ابراز أولا أن جميع شعوب الارض تقريبا تعترف بالتحول التاريخى العميق الذى حدث وساهـم فى عمليـة التشكيل الحديث للمثل الاعلى للمساواة ٠

وتحقيق هذا المثل يعترف به أكثر فأكثر كحاجة لا يمكن الاغضاء عنها بالنسبة للعدالة الاجتماعية ٠

وثانيا : فان الامم المتحدة أرادت أيضا تحريك وتكملة التحول من أجل السـلام والتقدم ٠ وأرى أن هذا الاعلان اظهار للتقدير والثقة والآمال المعقودة على مقدرة المرأة التى دعيت لانقاذ ورفع القيم المعنوية والروحية وهى الوحيدة التى تجعل الحيـاة ذات قيمـة ٠

وقد تابع الفاتيكان باهتمام وتعاطف خطوات عام المرأة وبمناسبة المؤتمر الدولى الذى أقيم فى مدينة المكسيك فى أواخر يونية أرسل لجنة خاصة اشتركت فى جميع الاعمال بنشاط ملحوظ كما وأنها اتصلت بممثلى مختلف الحكومات والمنظمات الغير حكومية ،وأكدت اللجنة الاهتمام البالغ للفاتيكان وتقديره للعمل الايجابى من أجل ترقية المرأة وأثبتت أن المساواة بين الرجل والمرأة لها مغزى فقط في المجتمع الـذى

يعترف فعليا لكليهما بكرامتهما الانسانية وفى المجتمع الذى يعطى المكان اللائق للاسرة أى لنواته الاساسية ، المجتمع المتفتح للترقى الفعلى المتكامل أى الهادف بخاصة الى تطور الوعى المعنوى ٠

ولنر الآن ماذا حدث واقعيا فى ايطاليا فى هذه السنوات الاخيرة وماذا بقى بعد لعمله ٠

ولنأخذ بعين الاعتبار قبل كل شيء وضع المرأة فى الاسرة الجديدة بعد تعديل قانون الاسرة (1975/5/19) ٠

لا أقصد هنا توضيح جميع النظم واللوائح ولكن أكتفى باختصار بعرض دور المرأة الجديد بالنسبة للاسرة وبالنسبة للمجتمع ٠

ان تقييم دور المرأة وشخصيتها يمثل تنفيذا دقيقا للمساواة فى الحقوق التى يحتويها الدستور ـ بينما مجموعة قوانين سنة 1942 كانت تتعارض معها لانها كانت تنص على نظام الدرجات داخل الاسرة والتفرقة بين المرأة والرجل والاتحاد فى الحياة الزوجية التى كانت تتعارض مع انفصال الاموال ٠

ولكن هذا التفكير قد سبقه الزمان ، زمان تأكد المشرع فيه بعد نتيجة الاستفتاء على الطلاق (1974/5/12) أن معظم الشعب قد أراد تعديل كل للتشريع الخاص بالاسرة وجعلها أكثر التصاقا بالحقيقة التاريخية الإجتماعية الجديدة ٠

وقد انطبقت فى الواقع كل لوائح قوانين الاسرة على مبدأ مساواة الزوجين بطريقة مرضية سواء فى العلاقات الشخصية أو الملكية أو فيما يتعلق بالابناء ٠ وهناك لوائح عديدة أعطت للمرأة كرامة دورها فى الاسرة وفى المجتمع والاكثر أهمية فيها هو : المادة 143 مكرر ـ وتنص على أن المرأة المتزوجة لا تأخذ اسم عائلة الزوج كما كان فى مجموعة القوانين القديمة ـ ولكنها تحتفظ باسم أسرتها وتضم اليه اسم أسرة الزوج وتحتفظ بهذا الاخير حتى ولو كانت أرملة ، الا اذا تزوجت من آخر وهذا يعنى أن تحتفظ المرأة فى الزواج بكامل شخصيتها ٠

وتحتفظ المرأة بجنسيتها الايطالية ، الا فى حالة التنازل الصريح عنها ، حتى ولو أنها حازت جنسية أجنبية نتيجة لزواجها أو نتيجة لتغير جنسية الزوج ٠

وتنص المادة 43 على حق كل واحد من الزوجين فى اتخاذ محل اقامته فى المكان الذى ركز فيه جل أعماله ومصالحه ٠ وهذه المادة أساسية بالنسبة لتحرير المـرأة وتبدو ثورية حقا فى نظام عائلى كان وضع الزوج فيه ـ حتى الآن ـ مقدما بلا نزاع ، ولكن الحقيقة الاجتماعية والاقتصادية العائلية التى فيها أكثر عدد النساء اللائى يقمن بنشاط عملى مع نتائج لا يمكن اغفالها فى اقتصاد العائلة قد دفعت المشرع الى السماح للمرأة المتزوجة بأن تتخذ محل اقامة لها حيث يوجد مركز أعمالها ولو كان يختلف عن اقامة الاسرة ٠

وفيما يختص بالوصاية على الاولاد فان التعديل يعطى حق القيام بها لكلا الوالدين ولابد من اتفاقهما بهذا الصدد والا فلابد من الرجوع الى القاضى ٠

وكذلك أعطى التعديل للام ايضا حق انكار الابوة ٠

وهناك أمر آخر بالغ الاهمية وهو العلاقات المالية بين الزوجين التى أسست على نظام توحد الممتلكات وقد قصد التعديل تقييم العمل الذى تؤديه المرأة فى المنزل وذلك باعطاء المرأة قيمة لمساهمتها الفعالة فى تكوين ما تمتلكه الاسرة ٠

وقد حدث تعديل أيضا بصدد الميراث وأصبح كل من الزوجين وارثا له كل حقوقه قانونا وكذلك له حق السكن ، وحق استعمال الاثاث الموجود فى مسكن الاسرة ، وفى الواقع تحتفظ المادة 540 من أجل مصلحة أى من الزوجين بالحق فى نصف الميراث وبالحق في الاقامة فى البيت الزوجية ٠

وهذا التجديد من أهم مميزات التشريع الجديد لانه أزال عن الذى بقى مـــن الزوجين على قيد الحياة صفة المرتبط فقط بالربع وما توحى به من اذلال وما جعلـه يتلقى غالبا نكران الجميل من جهة الابناء ٠

وأود الآن ألاحظ أن القانون الجديد معمول به الآن فى ايطاليا منذ أغسطس سنة 1975 ولكن المرأة لابد أن تكون مستعدة لتقبله ولاتخاذ المسؤولية الاكثر الناتجة عن حقوقها الجديدة الزائدة وكذلك عن الواجبات التى حصلت عليها بالتعديل ٠

ومن ثم فمن الضرورى ان تحيط المرأة علمها بها حتى تكون واعية ومسؤولة ليس فقط بالنسبة للحقوق بل أيضا بواجباتها الجديدة ٠ والعمل الباقى ضخم ولابد من القيام به بالتدريج وهو دون شك سيتحقق بمرور الزمن اللازم للنضج الانسانى ، فالوسائل التشريعية وحدها لا تكفى ٠

ولننتقل الآن الى عرض قضية عمل المرأة ، فقد عين مجلس الوزراء الايطالى بمناسبة عام المرأة لجنة خاصة قامت بنشاط كبير فى أثناء السنتين 1975 ـ 1976 ونظمت مؤتمرا وطنيا عن عمل المرأة وانعقد المؤتمر بمدينة رومة من 26 الى 28 نوفمبر 1976 وكانت رئيسة المؤتمر الدكتورة Tina Auselmi وزيرة العمل وهى أول امرأة تولت منصب الوزارة فى تاريخ ايطاليا ٠

واشترك فى المؤتمر وفود من شخصيات السياسة والثقافة والجمعيات النسائية وممثلى الاقاليم ٠ وقد عرضت رئيسة المؤتمر فى خطبة الافتتاح بعض البيانات التى يستنتج منها أنه ما زالت المرأة فى بلدنا حتى الآن تعتبر مواطنة من الدرجة الثانية فمثلا نجد أن النساء يمثلن أكثر من نصف السكان (51٪) ولكن أقل من ثلث القوة العاملة (28٪) وثلث المتعطلين ٠

ومن المعروف أن أكثر من مليون ونصف من النساء يشتغل فى المنزل من أجل التجار أو المصانع مع استغلال قاس دون ضمان أو تأمين ويسمى « العمل الاسود » ٠

وأسباب هذه الامور ترجع الى عناية المرأة بمنزلها وبخاصة أبناءها لنقصان الوضع بالنسبة للخدمات الاجتماعية كما هو الحال فى عدم كفاية عدد دور الحضانة ورياض الاطفال والمدارس ذات الوقت الواحد ٠

وكل هذه الاسباب تقلل من امكانية المرأة للاندماج فى ميدان العمل والى جانب هذا فنجد أن التعليم والتخصص المهنى اللذان غير كافيين حتى الآن أو ينفذان بطرق

قضى عليها الزمن ـ يجعلان المرأة تتجه غالبا الى أنشطة مكملة لما يقوم به الرجل وقليلا ما تصل الى مستوى الادارة ، فهى لا تعرف شيئا تقريبا عن المكينة الزراعية وعن التكنولوجيا وأخيرا فان المرأة مرتبطة بالنطاق الاقل تأهيلا والاقل مكافأة واستقرارا فى عالم العمل • وقد اختتم رئيس مجلس الوزراء الايطالى أعمال المؤتمر بخطاب عرض فيه مشروع القانون الجديد الذى قدمته وزيرة العمل لمراعاة المساواة فى المعاملة بين الرجال والنساء فيما يختص بالعمل ورعاية المرأة • وقد وافق مجلس الوزراء على هذا المشروع القانونى فى الجلسة المنعقدة يوم 23 ديسمبر سنة 1976 وهو يمنع أى تفرقة بين المرأة والرجل فى التعيين من أجل العمل على السواء بين الرجل والمرأة •

وفى الواقع نجد أن جميع التسهيلات للمرأة نظرا لامومتها الى آخره أصبح يتحملها التأمين الاجتماعى ، ولا يفوتنا أن الرجل قد حظى هو الآخر بالاستفادة من أيلولة المعاش و بالعلاوات الاجتماعية •

وللاسف يجب أن نستبين أنه لم يؤخذ بعين الاعتبار فى هذا المشروع القانونى الهادف الى ازالة أية تفرقة بالنسبة للمرأة فى مجال عمل المرأة مشكلتان كبيرتان : أولاهما العمل بالمنزل وهو مثقل بالمسؤوليات ولكنه خال من الاعتراف القانونى ولو أن له قيمة اقتصادية لا تحصى منافعها ولا تجازى ـ وثانيتها : هى العمل الذى تقوم به المرأة نفسها حسب الطلب (العمل الاسود) وهذا الاخير على الرغم من قانونى سنة 1958 وسنة 1973 المنظمين له لا يزال حتى الآن يتهرب من أى اشراف ولهذا السبب قهرت التجاهل التام لهذين القانونين لاسباب كثيرة غنية عن البيان •

ومما عرضته حتى الآن يتضح جليا أن المشرع قد اعترف للمرأة العاملة بنفس حقوق الرجل وبنفس المكافأة التى يستحقها الرجل عندما يؤدى كل منهما نفس العمل • أما فيما يختص بالاسرة فقد وضعت المرأة فى حالة استقلال تام ومساواة مع الرجل ولكن لننظر كيف تسير الامور فى الواقع ، نجد أنفسنا أمام هذه الظاهرة : تشريع متقدم وحديث منبعث من النظرة الى مجتمع متحرك ولكنه قد طعمت به واقعية اجتماعية لا تزال غير مهيأة فى التركيب ومرتبطة بهيكل قديم متأثر بتقاليد تريد أن تجعل من المرأة جزءا من اطار المنزل وتبقى فيه أو أن تشتغل فقط فى أنشطة مكملة

لما يفعله الرجل أو قائمة بأعمال يدوية وعلاوة على ذلك فان المرأة توجه فقط الى فروع وقطاعات للانتاج ومنهن كالمساعدة الاجتماعية والمعلمة والمحرضة ومربية الاطفال ومساعدة الاسرة وهى أعمال فى جوهرها وظيفة الام على المستوى الصناعى ·

حقا أن هناك نساء قد احتللن مناصب فى الاعمال الحرة والثقافة وفى أعمال كانت مغلقة أمامها حتى الآن (كقبطان باخرة وسائق قطار سريع) وحتى أيضا فى ميدان السياسية من عدة سنوات ولكن هذه أمور استثنائية لان أغلبية النساء لا زالت تعمل على هامش النشاط الانتاجى ·

ويمكننى الآن أن أختتم معترفة بأن التكوين الاجتماعى الحالى يمنع المرأة غالبا من أن تعتبر العمل نشاطا ضروريا وليس اضافيا أى كشىء مؤقت هو وسيلة لكسب مرتب آخر هو استثناء مما خلقت له وهو أن تكون زوجا وأما ·

ولكن المشكلة أبعد من التكوين الاجتماعى وفى الواقع اذا لاحظنا ما يحدث فى بلاد أخرى وفى أوضاع أكثر تقدما منا ونظم وخدمات اجتماعية أحسن نرى أن المرأة عندما ترجع الى المنزل تبدأ فى العمل من جديد أيضا وفى النهاية نجد أن المساواة أدت الى أن تعمل المرأة مرتين ·

لا أعتقد أن هناك حلولا عامة لهذه المشكلة نظرا لان الامر يتعلق بمشكلة شخصية بطريقة ما · وفى الواقع هى معتمدة أيضا على القوة المعنوية والجسمية لكل امرأة وكذلك على عزيمتها وشجاعتها وأكثر من هذا على اختيار المرأة وكجميع الاختيارات لابد من الجهد ومن التضحية ولابد أيضا أن تقتنع المرأة التى حصلت على حقها فى الوجود كشخص وكمواطنة بوظيفتها التى لا يستغنى عنها فى المجتمع وواضح أن هذا فى الاسرة أيضا وفى الامر الاخير يجب عليها أن تبذل جهدها لتحقيق كيفية جديدة من الحياة بوسيلة تربية تهدف الى الاحترام والتفاهم المتبادلين والتعاون الاكثر تكاملا فبتغيير نفسها تغير أيضا الرجل الذى يعيش بجانبها سواء أكان زوجا أو أخا أو ابنا ·

وفى اطار هذا الملتقى عن التفكير الاسلامى لابد لنا الآن ولو بايجاز من النظر الى الوضع الحالى لاخواتنا المسلمات فى الاسرة وفى المجتمع ولكن نظرا لاننى مهتمة بدراسة العالم العربى الاسلامى بخاصة لا أستطيع أن أتكلم الا عن هذا القطاع ٠

لقد أعطى الاسلام بلا شك للمرأة العربية قيمتها بعد أن كانت خاضعة لعادات الجاهلية وحسن من حالتها معلنا المساواة الجوهرية بين الرجال والنساء ٠ وتقرأ فى القرآن الكريم فى سورة الانعام الآية 98 : « **وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة** » ٠

ومن ناحية الدين والاخلاق فقد تساوت المرأة مع الرجل ولها نفس الواجبات المعنوية والدينية وفى الآخرة نفس العقوبات والثواب ٠ فنقرأ فى سورة النحل الآية 97 « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » ٠

وفى سورة الحجرات ، الآية 13 « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** » ٠

وكذلك فى سورة النساء ، الآية 124 « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** » ٠

وينص القرآن على المساواة المطلقة فى عقوبة كل من الزانى والزانية وهى مساواة اعترف بها فى ايطاليا منذ وقت قريب فقط ونقرأ فى سورة النور ، الآية الثانية : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » ٠

وهكذا بالنسبة لانواع أخرى من العقوبات ففى سورة المائدة الآية 38 : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » ٠

وكذلك فى سورة النساء ، الآية 32: « **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** » ٠

ولان المرأة والرجل متساويان فى النظام الدينى والخلقى للاسلام فان المرأة فى الوضع السياسى وغالبا القضائى أقل من الرجل فنحن نجد أن المرأة خارجة عن السلطة العليا فلا يمكن أن تتولى منصب القاضى أو الامام أو الخطيب أو الولى وفى

القضايا شهادة الرجل فى الغالب تساوى شهادة امرأتين وفى الميراث يعطى للمرأة غالبا نصف نصيب الوارث والمرأة بالنسبة للطلاق حقها أقل من حق الرجل ٠

ولكن كل هذا لم يمنع المرأة فى صدر الاسلام أن تلعب دورا مهما حتى فى الحياة العامة ـ يكفى أن نستحضر الدور الذى قامت به نساء مثل خديجة وعائشة ٠ ومن ينسى نساء مثل الخنساء وسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ورابعة العدوية وزبيدة زوج الرشيد وبوران زوج المأمون ٠

واذا كانت مراجع الادب قد حفظت لنا هذه الاسماء فمن يدرى كم من النساء لسن أقل منهن قد عشن مغمورات ولكن قد ساهمن بعملهن فى تكوين عظمة الاسلام :

ربات بيوت وقرويات وعاملات مهضومة وسيدات بسيطة قد أعطت مآثر قيمة بعملهن الدائب وانكار ذاتهن وتضحيتهن فى جميع ميادين الحضارة العربية الاسلامية ٠

واذا كنا ذكرنا كل هذا فلابد أيضا من الاعتراف بأنه على أثر النفوذ الاجنبى وكثرة الاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية تكونت أوضاع تاريخية جعلت المرأة تقاسى حالة من الظلم ونقصان القيمة فى محتوى المجتمع العربى الاسلامى ٠

وكان من الضرورى اذن اصلاح حالة المرأة والتكوين العائلى بما يناسب التقاليد الاسلامية ٠ وقد ظهرت فى الاسلام حركة حديثة بارزة دائما من أجل تحرير المرأة مع مراعاة عدم التمسك الشديد بتقاليد قانونية تستطيع أن تكون معوقة لمطالب الحياة الحديثة والمصالح العامة وعدم الانفصال التام عن الماضى ٠

وفى هذه الحركة قد جاهد كثير من الرجال والنساء ولا يزال منهم من يجاهدون حتى الآن وقد حصلوا على نتائج ملحوظة ٠

ولنذكر عن طريق المثال السيد جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده وقاسم أمين والشيخ طاهر الجزائرى وهدى شعراوى وعائشة التيمورية ومى زيادة وكثيرون وكثيرات ممن أكدوا ضرورة تطبيق المساواة فى الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء وهذا لتكوين المجتمع العربى الاسلامى الجديد ٠

ويجب أن نذكر أنه فى أوقات التقدم للنصر من جهة حركات التحرر الوطنى فان النساء دائما الى جانب الرجال ويتعاون معهم دفاعا عن الحرية وعن حقوق الوطن . ولنذكر عن طريق المثال دور النساء فى مصر أيام الحركة الوطنية برئاسة سعد زغلول وكذلك النساء فى الشام والعراق وما قامت به المرأة الجزائرية من أجل تحرير بلدها عندما جاهدت مع الرجل معطية برهانا للبطولة وكاتبة لصفحات مجد فى تاريخ بلدها ونذكر أيضا النساء الاخريات اللائى ينتسبن الى العالم العربى المعاصر من الخليج الى المحيـــط .

ولكن المساهمة التى بذلتها النساء للتحرير الوطنى لم تكن دون نتائج فقد ساعدت هذه المساهمة فى تطور المرأة وأسرعت بها بالسير الى الامام ومن الدوافع الاخرى التى أدت الى هذه النتائج انتشار التعليم على جميع المستويات ، وقد تحقق الكثير وفعـلا حصلت المرأة فى بعض البلاد العربية على الحقوق كاملة فقد اشتركت فى السياسـة وفى السلك الدبلوماسى ونالت مناصب رئيسيـــة فى الوزارات وفى النقابات وفى الصحافة وثبتت أقدامها فى المهن الحرة ولكن هذا دائما كما هى الحالة فى ايطاليــا وتقريبا فى كل العالم يتعلق بأقلية . وتقدم المرأة لا يزال حتى اليوم تقدما لبعض النساء فقط ولهذا فقد بقى الكثير لعمله وطبقا لما يتفق مع مبادىء الاسلام .

فمن الضرورى انتشار التعليم أكثر فأكثر وتحسين التكوين المهنى واعطاء المزيد من الخدمات الاجتماعية المفيدة جدا لان المرأة بفضلها يمكن أن تقسم بين عملها الخارجى وعملها المنزلى بتضحية أقل توفق بين واجباتها كزوج وأم وواجبات عملها .

واذا كانت تلك الواجبات الاولى ـ فى نظرى ـ مهمة جدا لان الاسرة هى النواة الاساسية للمجتمع ، فان الواجبات الثانية ليست أقل أهمية لان اشتراك المـرأة فى ميدان العمل قوة لابد من جعلها فى خدمة المجتمع أيضا ، ومع هذا فان الاستقلال الاقتصادى الذى تناله المرأة بعملها يؤثر على وضعها فى الاسرة والسماح لها بحرية أكثر وبأمان وثقة واسعة عند القيام باختيار حاسم .

ولاعد القول أنه بقى الكثير لعمله وليس هذا فقط بالنسبة للمرأة العربية بل لجميع نساء العالم وانى معتقدة أن كفاحنا ـ معشر النساء ـ سيسير الى الامام بتحقيق تعاون بين نساء العالم وبالطلب الى الرجال أن يساعدونا فى تحقيق المساواة بينهم وبيننا ليس فقط فى القانون ولكن أيضا فى الحياة اليومية وكذلك فى اعطائنا امكانية القيام بدور بارز فى بناء عالم جديد ، عالم مساواة ومشاركة وكرامة وسلام وأحوال من الحياة أحسن من أجل الجميع .



في غارداية : ويرى في الصف الاول : السادة والسيدات : شارل جيدز (كولورادو ــ أمريكا) ، سيغريد هونكه (ألمانيا الاتحادية) ، على صبرى (سوريا ــ روما) ، اسماعيل بلتيش (يوغوسلافيا ــ فيينا) ، عمر تومى الشيبانى (ليبيا) ، عباس ببرسوف (أوزبكستان ــ موسكو) ، محمد اركون (الجزائر ــ باريس) ، ريتا فيندا (استوكهولم) ، عبد الله الشماحى (اليمن الشمالية) ، محمد عبد الله عنان (مصر) ، عمر فون ايرنفيلز (فيينا ـ هايدلبرغ) ، ارجمند كوران (تركيا) ، فرانسين مالى (باريس) ، محمد مجتهد الشبسترى (ايران ــ هامبورغ) .

النقطة 4

لا تنمية بدون استثمار موارد الثروة الباطنية والتحكم المباشر فيها

السيد الجيلالى صارى

أستاذ بالمعهد الجغرافى

جامعة الجزائر



لم يتأكد دور الموارد الباطنية ويتفوق على ما عداه الا حديثا ، بعد أن تمكن الانسان من تسخير الطاقة البالغة الاهمية والغاز الطبيعى ، واستطاع أن يتغلب على مختلف العقبات ويغير أوجه الاقاليم والبلدان تغييرا جذريا فكانت المرحلة الحاسمة فى تقدم الانسانية ، وخاصة النهضة العلمية والتقنية والاجتماعية .

وهذه النتائج التى حققت فى مدة زمنية قصيرة نسبيا ـ وذلك أثناء بضعة عشرات السنين الاخيرة فقط ـ أثارت وتثير دائما وبصورة أشد مما مضى مشاكل جد خطيرة تظهر فى الفوارق الجسمية التى يتميز بها العالم اليوم وتتمثل فى تقسيمه الى قسمين متناقضين ، قسم لا يأوى سمى ربع سكان المعمورة ولكنه يستهلك أكبر نسبة من المنتوجات العالمية ، وقسم يضم الاغلبية الساحقة من البشر لا ينال الا نسبة ضئيلة

من هذه المنتوجات سواء كان ذلك فى ميدان الصناعة أو الانتاج الثقافى ، ويعاونى مشاكل متعددة ويتعرض للاوبئة والاضطهاد ٠

وهذه الوضعية خطيرة جدا ، وخاصة أن الفوارق تشتد وتزيد باستمرار فى تبعية العالم المحروم وفى استغلاله واضطهاده فى نفس الوقت ، فهل هذه ناجمة عن ضعف موارده الباطنية أم هل هي راجعة الى الاوضاع السياسية والاقتصادية الراهنة ؟ وبالخصوص أن هذا العالم «المحروم» يساهم مساهمة فعالة فى التنمية الاقتصادية العالمية بوسائله البشرية والمادية وهناك عدد من بلدانه تحتل الصدارة فى انتاج مواد أولية حيوية ولا سيما الطاقة الضرورية للصناعات الحيوية ٠

وهذه هى النقاط التى ننوى تحليلها فى اطار العناصر التالية :

- دور الموارد الباطنية فى تحويل الاقتصاد العالمى ٠
- مشاكل وأخطار النظام الاقتصادى العالمى الحاضر ٠
- شروط استغلال الموارد الباطنية والتحرر ٠

1) دور الموارد الباطنية فى تحويل الاقتصاد العالمى :

لم يتأكد هذا الدور ويتفوق الا منذ قرنين فقط بعدما توصل الانسان الى تسخير الموارد الباطنية للطاقة وبعد استغلالها بكميات ضخمة ، فاستعمال طاقة البخار ثم طاقة الكهرباء والنفط غير أوجه الاقطار والاقاليم تغييرا جذريا بالاضافة الى تحسين ظروف معيشة بعض الشعوب ٠

أ ـ الثورة الصناعية والموارد الباطنية :

ان تسخير طاقة البخار بعد مرحلة حاسمة فى تاريخ البشرية وخاصة فى البلاد التى توفرت فيها ظروف استعمال هذه الطاقة بكميات متزايدة أى الاقطار التى تأهبت الى ادخال هذه الثورة والتى تملك أراضيها مناجم الفحم وبعض المعادن الاخرى ٠ فالطاقة الجديدة أصبحت منذ بداية القرن التاسع عشر تنشط وتدعم عددا من

الصناعات كالنسيج والتعدين · وكذلك المواصلات الحديدية ابتداء من 1830 ، والمواصلات البحرية « البواخر » ولذا ارتفع فجأة انتاج الفحم فى العالم من 100 م ط فى سنة 1850 الى 1330 م ط فى سنة 1913 (1) أى تضاعف بـ 14 مرة فى ظرف 75 سنة وأصبح المعبر المباشر لكل اقتصاد ولكل حيوية لا سيما وأن معظم هذا الانتاج اختص بعدد قليل من دول أوروبا وأمريكا الشمالية ، فثلث الانتاج كان يرجع قبيل الحرب العالمية الاولى الى الولايات المتحدة (513 م ط) ، والربع لبريطانيا العظمى (60 ٪ فى سنة 1890) و 23 ٪ لالمانيا ، وأما الباقى فكان يخص باقى أوروبا وروسيا ·

ومثل هذا التفوق وهذا التوزيع يشاهدان فى انتاج مناجم الحديد ، فانتاج أربع دول بلغ 123 م ط (166 م ط للمجموع العالمى فى سنة 1914) منها 60 م ط للولايات المتحدة و 23 م ط لالمانيا ، و 21 م ط لفرنسا ، و 15 م ط لبريطانيا العظمى وبفضل هذه الكميات وما يترتب عنها احتلت هذه الدول الصدارة فى الاقتصاد العالمى ففرضت نفوذها على جهات واسعة من العالم ·

وهكذا توسعت وتنوعت الصناعة بعدما تعزز فرع الحديد والصلب الذى أصبح منذ منتصف القرن التاسع عشر المحرك للنشاطات الحيوية كالميكانيكيا والآلات ، وصناعة البناء ، والورق والطباعة وكل هذه الصناعات تتطلب كميات مرتفعة من الموارد الباطنية وأصبحت تستعمل حتى المعادن الغير الحديدية كالنحاس والرصاص والزنك ، واستعمال هذه الموارد التى توجد غالبا بعيدة عن أماكن التحويل لا تشكل صعوبة بسبب تعزيز وسائل المواصلات وأصبحت كميات هامة تنقل بين قارة وأخرى·

ولم ينحصر هذا التطور السريع فى الصناعة فحسب بل أثر تأثيرا بالغ الاهمية فى الزراعة فأدخلت هذا القطاع تحولات جذرية بفضل الوسائل الحديثة المتمثلة فى استعمال الآلات الزراعية كالجرارات التى كانت السبب الرئيسى فى توسيع الاراضى فى أمريكا واستراليا وغيرها ، كما أن ادخال المزروعات فى أراض مختلفة تم فى مثل هذه الظروف وكانت النتيجة رفع الانتاج وتنوعه وتصنيعه فى آن واحد فضلا عن التجارة العالمية وتغطية الحاجيات فى البلدان المتطورة ·

وفى مثل هذا الجو تمت اختراعات احدثت ثورة صناعية أخرى فى أواخر القرن التاسع عشر بعد ما تمكن الانسان من استغلال طاقة الكهرباء وفرضت موارد أخرى وجودها فى الصناعة وخاصة مجال النقل ، وهى موارد النفط والغاز الطبيعى ٠

ب ـ تفوق أهمية الطاقات الجديدة :

سرعان ما أصبحت هذه الطاقات تنافس الفحم نظرا لاختصاصاتها ومميزاتها سواء فى الحياة الاقتصادية أو فى الحياة الاجتماعية نفسها ، فضلا عن دورها الرئيسى فى المواصلات الجوية وغزو الفضاء ٠

وللكهرباء وظائف معينة فى بعض المجالات فهى الطاقة المطلوبة فى عدد من فروع الصناعة خاصة تحويل بعض المعادن التى لها أهمية كبرى فى الاقتصاد ، وهى الالمنيوم والنحاس والزنك كما أن دورها فى النقل والحياة الاجتماعية لا تقل أهمية فعليها تعتمد المواصلات اللاسلكية والتلفزة والآلات المنزلية وآلات الادارات ، والمكتبات ، ولذلك قفز انتاج هذه الطاقة فجأة كما تدل عليه الاحصائيات ، فارتفع الانتاج العالمى من 4.64000 م ك و س فى سنة 1938 الى 6.248000 م ك و س فى سنة 1974 (2) وفى نفس المدة ارتفع انتاج الولايات المتحدة من 141.955 الى 1.941.000 م ك و س ، والانتاج السوفياتى من 504.000 الى 1.036.000 ، ومن المعلوم أن مصدر هذه الطاقة هو الماء والفحم وحديثا الغاز الطبيعى .

ويلاحظ تزايد مثل هذه الاهمية بالنسبة للنفط الذى تأكد تفوقه وسيطرته تقريبا على المصادر المذكورة خلال العشريات الماضية وكانت الاسبقية من حيث تطور حجم الانتاج ويتجلى ذلك فى الاحصائيات التالية : 271 م ط فى سنة 1938 ، و 772 م ط فى سنة 1955 و 2870 م ط فى سنة 1974 أى تضاعف بـ 10 مرات فى ظرف 36 سنة ، ونفس الملاحظة تتعلق أيضا بالغاز الطبيعى اذ ارتفع انتاجه من 300.000 م ط فى سنة 1955 الى 1.272.000 م ط فى سنة 1974 وان كانت نسبته الى مجموع الطاقة المنتجة محدودة . (3)

وهكذا تبرز وتتأكد أهمية المحروقات ، فعلاوة على كونها مصدرا من مصادر الطاقة تعد أيضا من الموارد الاولية التي تحتاج اليها الصناعات العصرية ، وهي أنفع الموارد الاولية بالنسبة للصناعة الكميائية التي تعتمد على كثير من مشتقاتها ، فبعد عملية التكرير يستخرج من الغاز الطبيعي والنفط موارد فرعيـــة متنوعة مثـل الاثلـين والبروبلين والكحول التي تستعمل بدورها في عدة صناعات أخرى تتمثل في مختلف المنتوجات البلاستيكية التي تقوم اليوم مقام منتوجات مواد مختلفة كالخشب والزجاج والصلب أحيانا وخامات المنتوجات التقليدية كالصوف والحرير والقطن ، بل أصبحت منتوجات البلاستيك مطلوبة جدا نظرا الى اسعارها المعتدلة وانخفاض تكاليف نقلها من جهة وحسن استعمالها وأناقتها من جهة أخرى ، ولهذه المميزات أهمية كبرى جعلت هذه الصناعات تتوقف فجأة على عدد من الصناعات التقليدية خاصة منتوجات القرن الماضي وفرع كمياء الفحم ونلاحظ يوميا ادراج منتوجات الصناعات الحديثة في الحياة اليومية سواء بالنسبة للاستعمال المنزلي أو الصناعي وهذا يدل طبعا على مدى أهمية هذا الفرع الصناعي الذي صار من جديد محركا لتنمية الزراعة اذ أنه يزودها بكـل ما تحتــاج اليه من أسمدة ومــواد كيميائية ، فضـــلا عن تأثـيره العميق في المـلاحة البحرية اذ أن اسطول ناقـلات النفط تلعب الآن دورا رئيسيا بين البلدان المنتجـة والبلدان المستهلكة كما أن أسطول ناقلات الغاز ظهر حديثا وسيتعزز بسرعة من دون شك .

وهكذا تتجلى لنا بوضوح دور الموارد الباطنية في التصنيـــع وباقي المجـــالات الاقتصادية من زراعة الى نقل ومن مواصلات الى اختراع تقنيات في مختلف الميادين ، فاستغلال هذه الموارد أدخل تغييرات جذرية في العالم ولكن هل كانت في صالـح الجميع أم في صالح أقليات أو بلدان معينة ؟ وفي مثل هذه الحالة ما هي المشاكل والاخطـــار ؟

2 ـ مشاكل وأخطار النظام الاقتصادي العالمي :

ان التحولات الاقتصادية الجذرية التي شهدها العالم خاصة خلال السنــوات العشريات الماضية تعمل وتفرز مصالح أقليات محدودة في العالم وبعض الشعـوب

على وجه العموم بينما نتائجها وتأثيراتها المختلفة تخلق عدة مشاكل وأخطار بالنسبة لباقى البشرية •

أ ـ تقسيم العالم وتناقضاته :

اذا كانت الموارد المختلفة لا تتمركز فى أقاليم وأقطار محصورة بل تتوزع عبر العالم مع تكامل بين البلدان غالبا ، واذا كانت بعض مصادر الطاقة وخاصة تلك التى تلعب دورا حيويا فى الصناعات الحديثة توجد فى الدول التى لا تستغلها بصفة مباشرة ، فان الاستغلال والاستهلاك لا يخصان الا ربع البشرية فقط بينما امكانيات وطاقات باقى العالم هامة ومرتفعة جدا وكثيرا ما تأتى بعض الدول فى المرتبة الاولى فى بعض منتوجات الموارد الاولية كما يتجلى ذلك فى الاحصائيات ومثل هذه الوضعية تبرز فى الملاحظات التالية المعبرة كلها فى تقسيم العالم ، ذلك التقسيم البالغ الخطورة اذ ان الدخل الفردى السنوى لربع البشرية يزيد عن 2000 دولار ويرتفع أحيانا الى 4000 دولار بينما ينخفض المعدل بالنسبة لاغلبية بلدان العالم المحروم الى حوالى 100 دولار فقط ، وأما الفوارق بين القارات والمناطق فهى جد كبيرة ، فنسبة أمريكا الشمالية ترتفع الى 43٪ بينما نسبة سكانها لا تبلغ الا 7٪ (4) وأما أمريكا اللاتينية التى تمثل نسبة سكانها نفس نسمة شمال القارة فانها لا تنال الا 3 ، 4 ٪ من الدخل العالميواذا كانت نسبة سكان القارة الآسيوية تبلغ 54 ٪ فان دخلها منخفض جدا ولا يبلغ الا 12 ٪ فقط ••• ويلاحظ أن هذه الفوارق فى زيادة متواصلة خلال السنوات القادمة •

وأما ما يتعلق باستهلاك أهم المنتوجات الصناعية وخاصة الطاقة نلاحظ أيضا فوارق جسيمة بين العالم المصنع والعالم غير المصنع بينما هناك علاقات وثيقة بينهما لان تصنيع الاول فى حاجة أكيدة إلى موارد الثانى والى اليد العاملة التابعة له فاستهلاك الطاقة يبلغ حوالى 10 ط بالنسبة لكل فرد فى العالم الغربى بينما ينخفض المعدل الى حوالى العشر فى العالم الثالث ، واذا اعتبر مقياس آخر أكثر تعبيرا عن مستوى التصنيع وهو الفولاذ تكون الفوارق جسيمة أيضا اذ يقدر المعدل عندنا بأقل من 300 غراما بينما يتراوح بين 437 ، 721 فى أوروبا الغربية •

ومثل هذه الفوارق توجد أيضا فى المجالات الاخرى وخاصة فى استهلاك المنتوجات الزراعية والانتاج الثقافى ، ولذلك فان الوضعية الصحية والعلمية والثقافية تعانى مشاكل خطيرة فى العالم الثالث فهل يرجع ذلك الى فقر موارده وطاقاته ؟

ب ـ دور العالم الثالث فى التنمية العالمية وطاقاته :

اذا كان نصيب العالم الثالث ضئيلا فى الاستهلاك والانتاج الصناعى والعلمى والتقنى فان دوره هام فى بعض منتوجات الموارد وخاصة المحروقات وان كانت هذه الموارد تتمركز احيانا فى عدد قليل من بلدانه .

فسرعان ما أصبحت مساهمة العالم الثالث تتزايد بانتظام فى انتاج الموارد الاولية سواء كانت مصادر طاقة أو غير طاقة وقد تأكدت هذه المساهمة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وتتجلى الآن فى منتوجات المواد التالية : البكسيت ، والانتموان ، والكرم ، والكوبالت ، والايتان ، والمنغنيز ، والنحاس ، وزيادة على هذا التفوق أصبحت لبعض الدول اختصاصات فى انتاج مادة معينة كما هو الشأن للزايير بالنسبة للكوبالت ، وبولفيا بالنسبة للايتان ، بل هناك أيضا دول لا يستغنى عنها اذ أن منتوجاتها فى هذا المجال مرتبطة كل الارتباط بمركبات ومعامل الشركات المتعددة الجنسية ويتجلى مثل ذلك فى قارة أمريكا اللاتينية الى بعض خاماتها من النحاس والايتان والحديد التى تصنع فى شمال القارة ، والامر كذلك بالنسبة لمنتوجات الزايير أو زمبيا وغيرها من دول القارة الافريقية ، ونفس الملاحظة تتعلق بباقى دول العالم الثالث على وجه العموم باستثناء الصين .

وأما ما يتعلق بمصدر الطاقة ، خاصة النفط فى الوقت الحاضر ، والغاز الطبيعى فى المستقبل ، فان الفصل بين الانتاج من جهة والتصنيع والاستهلاك من جهة أخرى يكاد يكون تاما ، فاصبحت الآن دول الشرق الاوسط تحتل المرتبة الاولى فى انتاج النفط بعد ما كانت نسبتها فى الانتاج العالمى محدودة عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى سنة 1946 كانت لا تمثل الا 3 و 7،4 فقط ، أى 16 م ط . ثم ارتفعت فى سنة 1955 الى 22 ٪ (70 م ط) وبلغت 17 و 33 ٪ فى سنة 1974 بينما الانتاج العالمى يقترب من

مليون ط (5) وتدل آخر الاحصائيات على وجود تحسن ملحوظ فى صف الشرق الاوسط اذ أن العربية السعودية أصبحت تحتل المرتبة الاولى بدل الولايات المتحدة ، وفى استطاعة المنتج الا يزيد فى الانتاج نظرا لقوة احتياطاته ، كما أن الشرق الاوسط يحتل أيضا المرتبة الاولى فيما يتعلق باحتياطات النفط والغاز الطبيعى معا وهذا ما يبين أهميته فى المستقبل القريب ، اذا أن مثل هذه المواد تعد مواد استراتيجية للغاية خاصة وأن مشتقاتها بما فيها المحروقات كالبنزين والمازوت ... ومواد البلاستيك والاسمدة والنسيج وتلعب دورا رئيسية فى الاقتصاد العالمى لا سيما وأن هذه الصناعات المتعلقة بمعالجة النفط والغاز الطبيعى تتمركز على وجه العموم فى الغرب واليابان .

وهكذا تتجلى لنا أهمية بلدان العالم الثالث فى تنمية الغرب فصناعة هذا الاخير لا تستطيع أن تستغنى عن المواد الاولية المنتجة بعيدا عن مراكز الصناعة حسب ما كشف من ذلك ما سمى بأزمة النفط فى 1973 ـ 1974 حيث أصاب تخفيض انتاج النفط تسيير الاقتصاد الغربى وزيادة على ذلك يتجلى دور العالم الثالث أيضا فى ميدان آخر وهو الاستثمارات اذ أن الغرب يستقبل سنويا مبالغ هامة من رؤوس الاموال التابعة لبعض دول الشرق الاوسط تبلغ حوالى 40 مليار دولار فى سنة 1975 ونفس المبلغ يعادل نصف احتياط العملة الصعبة والذهب فى الغرب كله . (6)

وهكذا تتأكد لنا بصفة فظيعة أهمية دور الموارد الباطنية فى الاقتصاد العالمى وبالتالى فى التنمية العامة ومثل وجود هذه الموارد فى بلد ما من العوامل للتغييرات الجذرية فى شتى الاماكن ولكن هذا العامل وحده غير كاف كما تبينه الاوضاع الراهنة المتمثلة فى استغلال ثروات العالم الثالث وتبعيته ، ولذلك يتوجب علينا أن نعالج شروط استغلال الموارد مباشرة ليتسنى لها ان تكون فى خدمة مصالح المنتجين أى أغلبية البشر .

3 ـ شروط استغلال الموارد الباطنية والتحرر :

بما أن وجود الموارد الباطنية له أهمية كبرى فى الاقتصاد الحديث وتعد احدى عوامل التنمية علينا أن نحلل العوامل الاخرى وذلك باستخلاص تجربة العالم المتقدم

وان كانت ظروف نهضته غير الظروف التى يعيش فيها الآن العالم المتخلف • علينا أن نمعن النظر جيدا فى هذه الظروف نفسها وفيما تمثله من عقبات فى طريق التنمية•

ان هذه العقبات كلها تقريبا سواء كانت على المستوى الوطنى أو المستوى الدولى انما هى نتيجة النظام الاقتصادى العالمى الذى عزز ولا زال يعزز العلاقات الموجودة بين العالمين ، والتى تخدم العالم المتقدم على حساب العالم المتخلف كما يتجلى ذلك من الملاحظات التالية : فرغم ارتفاع أسعار المواد الاولية حديثا الا أنها لا تتناسب مع الواقع الاقتصادى العالمى بل هناك فوارق كبيرة بين تطور أسعار المواد الخام وتطور المنتوجات الصناعية وبصفة عامة كل القوة الشرائية لبلدان العالم الثالث خاصة وانه أصبح مضطرا الى استيراد أشياء كثيرة كما أنه أصبح أيضا يقدم الى أوروبا الغربية أفواجا كبيرة من الايدى العاملة التى لا تكلف الشركات المتعددة الجنسية أية مبالغ لتحضير هذه القوة منذ نشأتها بل يتم ذلك فى البلدان المصدرة لليد العاملة •

هذا ومن جهة أخرى تلاحظ علاقات أخرى تخدم أيضا مصالح العالم المتقدم فنظرا الى تفوق هذا الاخير فان النقل والمواصلات والاعلان وغير ذلك تسيطر عليها الدول المتقدمة بواسطة الشركات الوطنية والمتعددة الجنسية ، بل أصبحت هذه السيطرة تغطى حتى النظام السياسى فى عدد كبير من الدول المتخلفة ولذلك تتلاشى السيادة الوطنية تدريجيا ى هذه البلدان

فمثل هذه الوضعية السياسية خطيرة جدا لانها تزيد فى اضطهاد الشعوب بالاضافة الى تعزيز التبعية ، وليتحتم وجود سلطة قوية تعمل والمصالح العامة الشعبية فالتحرر السياسى يكون اذا شرطا أساسيا ويتوقف عليه حتميا الشروط الاخرى على المستوى الوطنى ، فاذا كان حقيقة يعمل ويخدم مصالح الجماهير لا مصالح الاقليات فانه من الممكن أن يتغلب على العقبات ويستطيع أن يمهد الطريق لادخال تغيرات جذرية وهى المرحلة الحاسمة لكل انطلاقة بناءة ففى هذه الحالة من الممكن أن تغير البنيات الاقتصادية والاجتماعية الموروثة فتجند القوات الحية لوضع أسس متينة لكل بناء طويل الامد يتماشى وترقية الكادحين فى اطار مخطط محكم يراعى ويضمن متطلبات التنمية

الشاملة ومهما كانت المجهودات المبذولة على الصعيد الوطنى فان العقبات تبقى كما هى على المستوى الدولى نظرا الى الاوضاع الراهنة التى أشرنا اليها سابقا وهنا لابد من تعاون مثمر متواصل بين الدول المعنية بالامر أى الدول المتخلفة ، فعليها أن تتضامن وأن تنسق سياستها ولو فى برامج محدودة بعد دراسة عميقة للوضع الاقتصادى الحاضر وعليها دائما أن تعمل جنبا الى جنب كما هو الشأن فى الغرب ٠

وبالفعل فان لكل تنسيق ولكل تضامن من نتيجة كما يتجلى ذلك مثلا فى وحدة الصف لمنظمة دول منتجى النفط ٠ فان النتائج التى حصلت عليها خلال هذه السنوات الماضية هامة جدا وقد أرغمت الغرب على عقد الحوار بين الجنوب والشمال وقبول مناقشة المشاكل المختلفة المتعلقة الآن بين العالمين وأن لا يقتصر النقاش على أسعار المواد الاولية فقط ٠

ولكن الطريق لا زال طويلا وشاقا كما تبينه الاحداث الاخيرة ومن الواجب مواصلة المجهودات وتنسيق أكثر مما مضى فى الميادين المختلفة بين شعوب دول العالم الثالث كما أن كل هذه المجهودات يجب أن ترمى دائما الى تحرر اقتصادى متين هدفه تنمية شاملة وليس نهضة قطاع معين فقط كما هو الامر غالبا الآن فى العالم الثالث ، فكل التحليلات تلح على هذه النقطة الرئيسية ، فالتنمية لا تتوقف على زيادة انتاج مادة أو مادتين ولو كانتا استراتيجيتين كالنفط والغاز الطبيعى وانما ذلك احدى عوامل التبعية ، كما أن التنمية لا تتوقف أيضا على تنمية قطاع معين ولو كانت فروع صناعتها حيوية لان المواد الزراعية أصبحت هى الاخرى تلعب دورا هاما وأصبحت سلاح الغرب ٠

ان التنمية الشاملة غير ذلك فهى انفراج حاسم يتحقق شيئا فشيئا حينما تستوفى الشروط المشار اليها وحينما تحدث تغيرات هامة على المستوى الاقتصادى والاجتماعى ، فعلى المستوى الاقتصادى قد يعود الدور الرئيسى الى الزراعة أو الصناعة أو كليهما معا ، ومهما كانت الظروف فالصناعة دور حيوى اذ انها القطاع الذى فى استطاعته أن ينشط القطاعات الاخرى ولا سيما الزراعة التى يزودها بالآلات الميكانيكية والكهربائية ، وكذلك الاسمدة والمواد الكمياوية فتندرج حينئذ فى

الاقتصاد الوطنى وتنشطه ، ومثل هذه الظروف هامة ولها علاقة وثيقة بالتنمية العلمية وهكذا يقضى تدريجيا وبصفة لا رجعة فيها على البطالة والتخلف .

ولكن هذا الدور لا يتم الا فى شروط معينة كاقامة سلسلة من فروع الصناعة التى لها تأثير بالغ فى التصنيع الشامل أى بناء فروع حيوية مستقلة عن الخارج ولها ارتباطات متينة مع باقى المجالات الاقتصادية الوطنية وهذا الدور يرجع الى ما يسمى بالصناعات المصنعة (7) وهنا تتجلى لنا الفوارق بين هذه الفروع والفروع التى أصبحت تشيد حديثا هنا وهناك من طرف الشركات العالمية فهى كثيرا ما تتمثل فى فى فروع معينة غايتها التخلص من التلوث فى مواطن الشركات العالمية ، أو استغلال موارد والايدى العاملة في آن واحد فى البلدان المتخلفة ، وهذا التصنيع الحقيقى متقيد دائما بالاستقلال الوطنى .

وأما ما يتعلق بالتنمية الاقتصادية وتأثيرها فى التخلص من المخلفات الاجتماعية فيظهر ذلك فى تزايد أفواج المستخدمين من جميع الاختصاصات ومن عدة مستويات وتكون العامل الفعال فى توسع ديمقراطية التعليم وفى تدعيم البحث العلمى والتقنى والتنشيط الثقافى ، وكل هذا لا يتحقق تدريجيا وبصفة حاسمة الا فى ايطار تنمية شاملة مدعمة من سلطة وطنية فى استطاعتها أن تسخر كل الوسائل البشرية والمادية لخدمة مصالح الجماهير والطبقات الكادحة .

وهكذا تتجلى لنا فى النهاية شروط استغلال الموارد الباطنية ودورها الرئيسى فى كل تنمية شاملة تتماشى والسيادة الوطنية من جهة ، وترقية الجماهير من جهة أخرى .

الخلاصة :

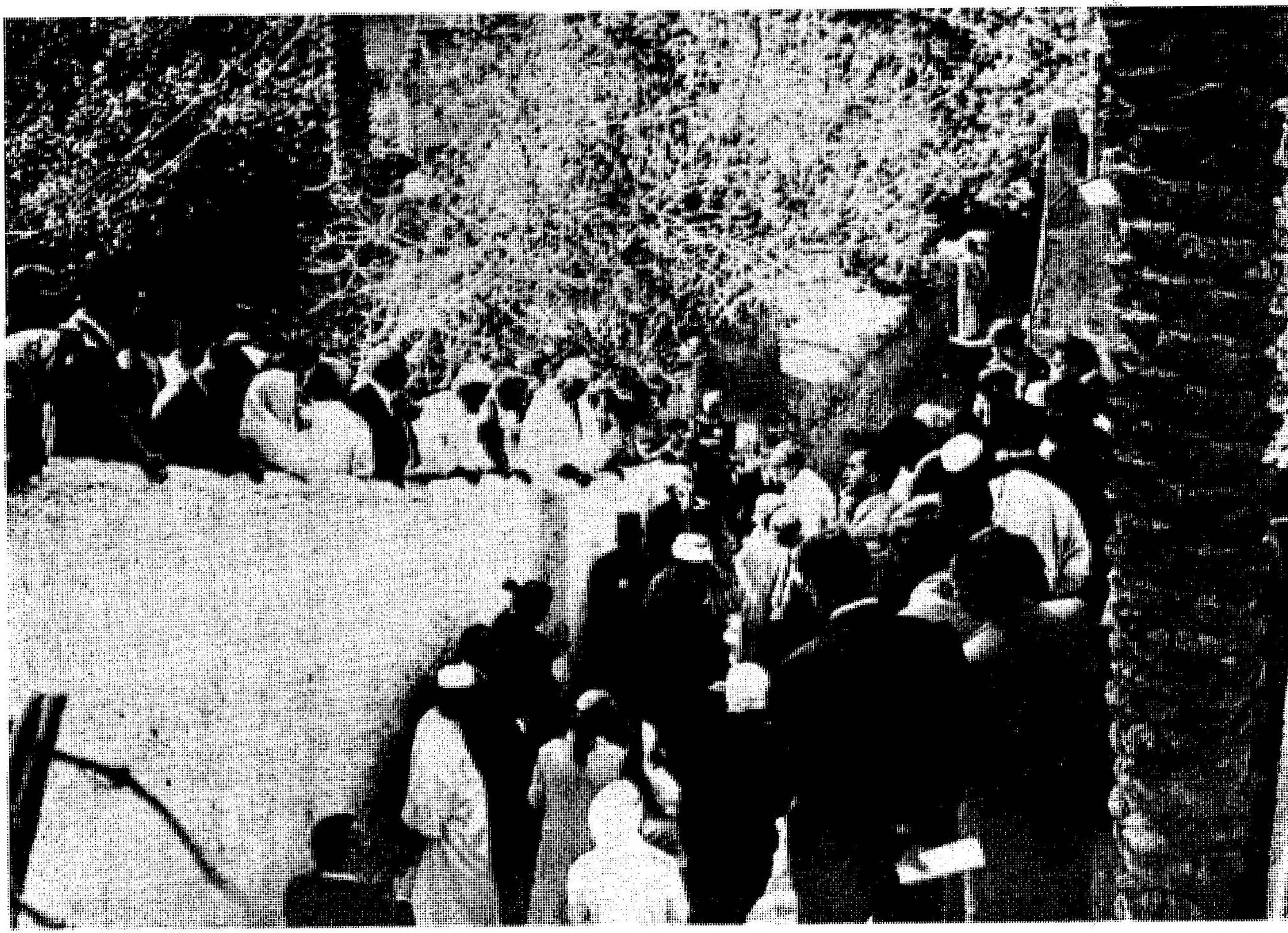
ان الموارد الباطنية أصبحت تلعب دورا هاما وحاسما فى النهضة الحديثة وذلك بعد ما استطاع الانسان ان يستغل الطاقة الطبيعية بكميات هامة ، فتغيرت بسرعة أوجه بعض البلدان بفضل التغلب على الطبيعة والعقبات ، وفتحت آفاقا جديدة تتجاوز الآن الحدود الارضية الضيقة .

ولكنه سرعان ما نتج عن هذه التحولات الجذرية مشاكل وأخطار تتمثل فى الفوارق الجسمية الموجودة بين العالم المتقدم والعالم المتخلف خاصة وان تنمية وتفوق الاول كثيرا ما تواصلتا على حساب الثانى اذ أن الموارد المختلفة لم تتمركز فى احداهما بل تتوزع عبر العالم كله كما أن هناك عدة علاقات بين العالمين الا أن وضعها تحكمت فيه وأشرفت عليه مباشرة الدول الصناعية ·

ولهذا لابد من جعل حد لمثل هذه العلاقات والمبادلات وما ينتج عنها أى لابد من تغيير الاوضاع السياسية والاقتصادية التى تتخبط فيها الآن معظم دول العالم الثالث وذلك ليتسنى لها أن تستغل ثرواتها مباشرة وتشرف على شؤونها حسبما تمليه مصالح جماهيرها وذلك لتوفير كل الشروط لتحقيق تنمية شاملة ، أليس تلك متطلبات كل الشعوب ؟ وهل التنمية ليست السبيل المستقيم للتعاون المثمر ولتقارب الشعوب ؟

الهوامش :

(1) J.A.L. Sourd et C. Gérard : Histoire économique, XIX^{e} et XX^{e} siècle, Paris 1963, collection U, A. Coio.
(2) J. Beau Jeu Garnier : Image économiques du Monde 1975, Paris 1975, p. 53
(3) J. Beau Jeu Garnier : Image économiques du Monde 1975, Paris 1975, p. 57 -9
(4) Finances et Développement Waingt thon 1972, B.I.R.D.
(5) Beau Jeu Garnier op. cit.
(6) Le jeu de l'oie du pétrole, le Monde du 18-11-76.
(7) Destonnes de Beroie : Les industries industrialisantes et les options algérinenes. Revue du Tiers Monde, Paris, juillet, septembre 1971, n° 47, pp. 545-564.



الملتقون فی مکان توزیع المیاه فی ضواحی غارداية ۰

البترول العربي

نعمة أم نقمة على العرب ؟

د٠ محمد على صبرى
مدير مركز البحوث والانباء الاسلامية
(شيزى) فى روما (ايطاليا)
مدير المناجم والبترول سابقا فى سوريا

الاخ وزير التعليم الأصلى ، اخوانى وأخواتى ٠



كان بودى ان احدثكم بشكل مفصل عما تحتوى عليه بطون الارض من الثروات الطبيعية فى العالم الاسلامى وبشكل خاص من النفط سيما ونحن فى ضيافة دولة عربية منتجة للنفط وفى ولاية النفط بالذات ، لكن وقت الفراغ الموجود تحت تصرفنا فى ورقلة كما ترون قصير جدا فاكتفيت باللامح الآتية التى سجلتها هنا لاعطائكم فكرة واقعية عن النفط ومشاكله لنتخلص منها فيما اذا كان البترول العربى نعمة أم نقمة على العرب ٠

ثروات الارض الباطنية هى بشكل عام نعمة اذا أحسن استخدامها وتصنيعها وتم التحكم فى استثمارها بمعنى ان المنجم مكمن محدود الاطراف له طرق فنية لاستخراج

فلراته بكميات يجب ان تتناسب مع اتساع حجمه والامكنة التى يستخرج منها وبظروف اقتصادية ملائمة تتماشى مع أعمال التسويق والجهات المستهلكة ··· فاذا اختلت هذه الشروط أو اختل بعضها ضاعت الفائدة الكاملة من المنجم وتناقصت هذه الفائـــدة بنسبة هذا الاختلال ···

فى بطون الارض مناجم كثيرة ولكن المنجم لا يعد تجــاريا الا اذا كانت عناصره الايجابية تفوق العناصر السلبية التى تصرف فى سبيل استثماره اما محليا أو خارج منطقة الاستثمار ·

لنتحدث بعد هذا الايجاز عن النفط وعن الجوانب البترولية التى عشناها ونعيش بهــــا ·

النفط فى الشرق الاوسط كان من أهداف الحرب العالمية الاولى ، فاينما كنت تجد النفط كنت تجد معه الاحتلال الاستعمارى الغربى ··· وكان العرب خداما لثرواتهم البترولية ومع الاسف ظهر البترول عندنا ونحن فى هوة سحيقة من الجمال · كــان النفط يتنقل من أراضينا بالانابيب ومحملا على البواخر الى أوروبا وأمريكا واليابان أمام اعيننا وباسعار رمزية مذهلة عمرت أوروبا من بترول العرب وزدهرت صناعتها ودخلت فى عصر التكنولوجيا وعمت خيرات البترول العربى على كل فرد غربى وارتفع مستوى الحيــاة ···

ولم يصبنا نحن العرب من هذه الثروة الا رخاء ملوكنا وأمرائنا بوبال الاثم علينا فاكتفينا بالقشور الذهبية التى كان يتفضل بها المستعمرون علينا ولم تكن بأكثر من اثنى عشر بالمائة من الفوائد التى كانوا هم أنفسهم يسجلونها ويراقبونها ويجددونها .. اما حقوق نقل النفط بالانابيب عبر البلاد البترولية فكانت مجانية تقريبا وحكوماتها العربية المحكومة بالانتداب ملزمة بالمحافظة عليها من التعديات ·· وزيادة فى الحرص على الاستغلال وخوفا من ضيـــاع هذه الثروة الفخمة خلال عشرات السنين مهــد المستعمرون لاقامة قاعدة لهــم فى الشرق الاوسط فأقاموا بالتدرج دولـــة اسرائيل لينطلقوا منها فى كل مرة يشعرون بالخطر على مصالحهم ·

المتتبع لتواريخ تحريات النفط ونتائجها الايجابية يلاحظ ان بهذه التواريخ بالذات ابتدأت عمليات هجرة اليهود الى فلسطين وعندما اكتشف النفط بكميات اقتصادية كبيرة ابتدأت عندنا ما يسمونها ـ بازمة الشرق الاوسط ٠

كانت من نتائج الحرب العالمية الثانية دخول دولتين عملاقتين الى المنطقة هما الولايات المتحدة الامريكية وروسيا وتفننا فى ابتزاز أموال النفط ، الاولى تأخذه عينا وتعطينا الدولارات عن طريق الترانزيت لنسلمها بدورنا مرغمين الى الثانية ونأخذ بدلا عنها أسلحة دفاعية لنتقى بها شرور اسرائيل العسكرية ونستعملها أيضا لتنفيذ المخططات الاستعمارية المتمثلة فى الانقلابات واقامة الاحزاب السياسية التى تكونت بجميع ألوان التيارات المعروفة بالعالم ٠٠ من أقصى اليمين الى أقصى الشمال وكان هذا التخطيط لابد منه لمنح المستعمرين الامتيازات البترولية التى كانت تبرم بحراسهم تشريعية من قبل الحكام المستعمرين والامراء وليس من مجالس الشعب ٠

الدولة الاولى التى تصدت لهذه التصرفات الجائرة هى سورية ، ألغت امتياز النفط الذى منحه الفرنسيون باسمنا الى انكلترا واعتبرت اتفاقية الانابيب التى تمر بالترانزيت من الطرق الى سورية فى أوائل الخمسينات غير لائقة ومجحفة ٠٠ وكنت آنئذ مديرا للمناجم والبترول فى دمشق ٠

ظل الامتزاز من المستعمر والحكام والامراء فى الظروف التى تعرفونها الى حرب رمضان 1973 حيث تضامن العرب بعد نكستهم واستطاعوا انطلاقا من الحركات التحررية الى تحطيم بعض السلاسل الاحتكارية البترولية فتصرفوا تحت ظل القوة العسكرية التى نضجت بمرور الزمن الى تحديد شرائط بترولية أفضل وسعر جديد للنفط ارتفعت بموجبه العوائد الى نيف وثلاثة اضعاف وتوصلوا بعد الجهد الجهيد والتأنى العميق الى مناصفة الارباح مع المستثمر ثم الى التأميم ٠٠ والراجح ان للعملاق الامريكى يدا فى هذا الموضوع استعملها ليصقع بها بعض الدول الاوروبية التى تطاولت بطلب التحرر من الضغط الامريكى عليها ٠٠ فكسرت الجرة على رأس الدول الصناعية فى أوروبا وتحسنت بعدها أوضاع أمريكا واستقام ميزانها التجارى

واستقرت عملتها من الاموال الطائلة التى أتتها من الشركات الامريكية صاحبة امتياز النفـط العـــربى ٠

اما القاعدة الاسرائيلية فقد انتقلت ملكيتها من المستعمرين الاوروبيين القدماء الى العملاقين الجدد فامريكا تمنـــح اسرائيل الاسلحة الفتاكة وروسيا تمونها بالعلجاء والضباط والجنود لتجعلان منطقة النفط جميعا مع أصحاب البترول ٠ اما النفط فيسيل بصورة منتظمة وبعيد عن الضجيج فى الانابيب كشريانات الدم فى جم البلاد العربية لتمتصه ناقلات النفط العملاقة وتوصله الى جميع انحاء الدنيا لينعم به الجميع ٠٠٠ ونحن نقاسى مد سلبياته ٠

بينما نحن نتحكم هنا الآن تجرى معركة قوية بين البلاد العربية المنتجة للبترول بدسائس المستعمرين سماها المراقبون (بحرب الاسعار) لان بعض العرب زعمـــوا ان سعر البترول عال ولا حاجة لرفع سعره ٠٠ بينما هو فى الواقع رخيص ٠٠ ان القوة الشرائية لسعر البرميل من النفط رغم ارتفاع هى كما كانت بالسابق تماما لان سعر المواد الاستهلاكية ارتفع أكثر من ثلاث مرات عما كان عليه فى الخمسينات بنتيجة التضخم المالى الحالى ٠٠٠ وسعر البترول المنطقى بالنسبة الى ما يماثله من الطاقات يجب ان يتراوح بين ت د ص دولار للبرميل وعندى دراسة مفصلة فنية خاصة بذلك فى رومـــا ٠

لا أريد ان اتعمق أكثر من ذلك بهذا الموضوع وانما أشرت اليه لاوضح حادثـــا غريبا وهو ان الدولة الصناعية فى أوروبا وأمريكا واليابان تستطيع ان تضاعف اسعار منتوجاتها مرة ومرتين وأكثر بدون ان يرتفع صوت الانسان ٠٠ اما نحن اذا تدخلنا بأسعار بترولنا فتقوم الدنيا وتقعد ٠٠٠ دول العالم تصنع على بترول العرب فى بلاده ضرائب خيالية 200٪ 400٪ 500٪ ٠٠٠ وترفع سعره بشكل عجيب وتمـلأ خزائنها من هذه الضرائب وتنفذ مشاريعها العمرانية على حسابنا ٠٠٠ وتدعى باننا نحن الذين نرفع سعر النفط ونمتص أموال العالم ٠

ألقى الدكتور برهان الدجانى أمين الاتحاد العام للغرف التجارية للبلاد العربية محاضرة فى روما منذ أسبوعين عنوانها (دور الدول العربية فى الاقتصاد الدولى) يستمع اليها عدد كبير من رجال الاقتصاد والمال والسياسة استعرض فيها الحالة الخيالية التى يتصورها الناس عن العالم العربى وقال ان العرب عندما يتكلم عن الاقتصاد الدولى يتخيل ان العالم العربى غارق فى الثروة والاحلام ويوجه اليه التهم الباطلة على تأثيرات السلبية التى يسببها من جراء احتكاره للثروات المالية والقطع النادر وضغط عن تحديد الاسعار وتوظيف الاموال وتملكه الصناعى والعقارى فى البلاد المستوردة للنفط ولكونه عاملا مؤثرا على الحالة الاقتصادية المنهارة التى يتخبط فيها العالم اليوم ـ وأكد الاستاذ برهان فى محاضرته ان الحالة ، من وجهة النظر العربية تختلف تمام الاختلاف عما يتصوره الغربيون عن البلاد العربية . ان الدول العربية المنتجة للنفط هى التى ترضخ دائما بدون قيد وشرط الى مطالب المجموعة الدولية بوجه عام ومجموعة الدول الصناعية فى الغرب واليابان بشكل خاص لتؤمن لهم احتياجاتهم من النفط الخام ... وبهذا الشكل تحرم البلاد العربية المنتجة لخامات النفط من امكانية تطبيق برامجها العمرانية وتنفيذ سياستها التقنية للمحافظة على مخزونها النفطى الذى قد ينضب فى يوم من الايام .. وعالج الدكتور الدجانى النواحى السلبية التى أصابت البلاد العربية من ثورة النفط ووضع بجانبها وبجانب التضخم المالى والاحتكارات وتبذير الاموال انحطاط القيم الاخلاقية والصفات البشرية فى حياة الانسان ولكن الشىء الذى أراد الاشارة اليه فى هذه الناحية ان عوائد البترول الناتجة عن ضغط مضاعفة الطلبيات هى بالنسبة الى مطالب الدول العربية المنتجة نقمة وليس نعمة .

انى لا أفكر هنا ان اتساع نطاق التصرف بأموال النفط قد اعطانا من ناحية مردودا ايجابيا يساعد على تحقيق مشاريع كبيرة كما هو الحال فى الجزائر وليبيا ولا سيما فى مجال الخدمات الاجتماعية والعمران وفى مجال الاقتصاد الانتاجى وكذلك أيضا ساهم فى تحسين مستوى حياة الانسان فى البلاد العربية .

اذن هنا أطرح السؤال : هل البترول العربى نقمة أم نعمة على العرب ؟

ولكى يكون النفط العربى نعمة لابد بنظرى من ان تتحقق عـدة عوامل من بينها :

1 ـ ان الحدود الجيولوجية للثروات الباطنية التى انعم الله بها على سكان الارض لا تتوافق عادة مع الحـدود الوضعية السياسية السطحية . فالدول العربية النامية التى أصابتها سلبيات البترول وهى لا تملك من البترول شيئا يجب ان تستفيد من هذه الثروة وان يكون لها حق فيه .

2 ـ يجب ان تستهلك كمية كبيرة من البترول داخل البـــلاد العربية والاسلامية وتستثمر فى تصنيع المـــواد البتروكيميائية التى نحن بحاجة ماسة لها كالاسمدة والخيوط بمختلف أشكالها وألوانها والبلاستيك والقـوة الكهربائية لاستخدامها فى الصناعات وعدد كبير جدا من المنتجات الهيدروكاربونية التى نحن بحاجة اليها كـل يوم ونستوردها باسعار النفط (ان الاستهلاك المحلى للنفط فى الدول العربية المنتجة للبترول فى الوقت الحاضر يتراوح بين 2 ـ 10 ٪ تقريبا والباقى يصدر) .

3 ـ يجب ان تكون الكميات المستخرجة من النفط تتناسب مع الكميات المستهلكة ومع الاحتياجات المحلية اللازمة للتخطيط وتنفيذ المشاريع على مراحلها الزمنية لان التفريط بلا استثمار من الناحية الفنية ليس من صالح المناجم ويؤدى الى تدفق أموال زائدة تذهب تبذيرا وفى غير محلها .. (أنا أذكر على سبيل المثال ان وزيرا فى دولة عربية مسلمة خسر منذ فترة ليست بعيدة فى ليلة واحدة صحراء فى احدى النوادى بين ايطاليا وفرنسا أكثر من مليون دولار ولم ينل .. واستقطب هذا الحادث أخبـار معظم الصحف الايطالية والافريقية وعندنا فى ايطاليا امثلة أخرى عن هذا التبذير .. عدد ولا حرج ..) .

4 ـ يجب ان تتدارس مجموعة الـدول الاسلامية المنتجة للنفط قضية تخفيض الانتاج بالتضامن وحصره باحتياجاتها النفطية والمالية فيصبح المرض أقل من الطلب فيرتفع سعر البترول تلقائيا ويصل الى مجراه الطبيعى .. وليس هناك خوف عـلى النفط من مزاحمة الغير فوجوده فى مكامنه افضل بكثير من الدولارات الموضوعة فى

البنوك وربما تعلمون ان المانيا ، هذه الدولة العاقلة ، حاولت مؤخرا شراء كميات كبيرة من النفط لحقنها فى مكان النفط الصالحة لديها لاستعماله وتموين جاراتها به عنـــد الاقتضاء ٠٠ وحاجة العالم الى النفط ستدوم عشرات وعشرات السنين حتى يتمكن من ايجاد بديل عنه ٠

5 ـ يجب على المؤسسات العربية النقدية التى خصصت لتوظيف أموال النفط ان لا تنتصر على المشاريع ذات المردود المالى والمكاسب الكبيرة ٠٠ فهناك مشاريع اجتماعية خاسرة من حيث المردود ولكنها رابحة من حيث تشغيل الايادى العاملة ورفع مستوى الحياة فى الشرق الاوسط وفى افريقيا ٠ فالمال المودوع فى المصارف ، بغض النظر عن هويتها يتأكله التضخم المالى الذى توجهه الدول الاستعمارية والصهيونية بشكل خاص.

6 ـ هناك عوامل فنية أخرى لم أتعرض اليها ، كتكوين جهاز عربى فى أعمـــال ، الاستثمار ووسائط نقل عربية وجهاز عربى دولى لتوزيع المحروقات وما اليها فاكتفيت بهذه الملامح التى ترافق حياتنا اليومية ٠

فاذا كان أصحاب البترول ، وهـم الدول الاسلامية المنتجـة للنفط ، صـادقين ومسلمين ، وهم فى هويتهم مسلمون ، ومؤمنين حقا فى دينهم وفى عـدل دينهم وفى اخلاق دينهم ومنصفين يجب ان تعم ثروة بترولهم على الجميع وعلى أقل تقدير فى حدود العوامل الايجابية الانفة الذكر وفى غيرها مما لم أتمكن من شرحه لضيق الوقت وهى معروفة لدى الاختصاصيين فى قضايا النفط وقضايا المجتمع ٠٠٠

عندها يمكن أن نقول ان البترول العربى نعمة وليس نقمة على العرب ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

كنوز الأرض للشعب المالك، وهذا وحده خير المسالك! (1)

مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على خاتم النبيئين والمرسلين

حضرات الأساتذة الأفاضل والأستاذات الفضليات
حضرات السادة والسيدات
إخوتي الطلبة والطالبات

بعد عشرة أيام من حضار دائب ونقاش متواصل، لم تغفلوا فيها النقاط ولا الفواصل، ها قد أتيتم إلى النتائج والحواصل!

فرغم تنوع البلدان، والأديان، والمذاهب، والفوارق في الأعمار والمستويات، والمواهب، فقد وفقتم ولم تأتوا شططا، ولم يكن بعضكم للآخر فئرانا وقططا، بل أجمعتم إذ وضعتم تصميما وخططا!

الميورقي، أم المرقي والمروقي؟

1) لقد استخلصتم من التاريخ والمشاهدة، والسير في الغبار والمجاهدة، أنه كانت هناك قمة علم، وفكر،

---

(1) كلمة اختتام الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي بورجلان (ورقلة) . (17 _ 26 صفر 1397/06 _ 15 فبراير 1977 م) .



جلسة الاختتام

ويرى من اليمين الى اليسار السادة رؤساء لجان التوصيات والمشرف على الملتقى :
1) محمد عبد الله عنان ، 2) د · مصطفى الزرقاء ، 3) مولود قاسم نايت بلقاسم ، 4) أحمد اسماعيل ، 5) د · صلاح الصاوى ،
6) اسماعيل العربى ·

وحضارة لبني رُسْتُم، وأنكم ضد الإعتراف لهم بذلك أبدا الستم، وأنكم إلى العرفان لهم بالجميل أميل، وإلا كنتم من كل البحثة أزفت وأنيل!

نعم! ولكن في كل من تيهرت، وسدراته، ووَرَجْلان، لانَ الهصورُ وفر كالخروف الوجلان، وأصبح ذلك الصلد كالخائف الخجلان، أشبه بعملاقٍ خانته الرجلان، وأضحى الحصيفُ المتزنُ الطائشَ العجلان، إذ ضمرت في الدولة الجذور والعروق، وأمسى أحفاد الأتقياء الأنقياء همهم المَرَقُ والمروق، يعبثون بالليل ولا ينامون إلا عند الشروق، وحل مكان العدل والمساواة شر التمييز والفروق، فلَحِق بدولة رُسْتُمَ ما حاق بروم وروما، ككل أندلس ونرمان، وانضمت إلى آشور وبابل، وانهالت عليها الرزايا كالمنهمر الوابل، وأصبح كل ما كان كما رأيتم، ولن تنكروا الحقيقة مهما واريتم، وتتمنون لو ما رأيتم!

ومن هنا فالعظام هي التي أصبحت نخرة، عوقب عليها في الدنيا قبل الآخرة، ولم يكن الفاصلَ في إنهاء رستم دولةُ زيري ولا الميورقي والميارقة، وما كانت لتُقهر لولا داؤها حتى لو اجتمع عليها المغاربة والمشارقة، وتلك سنة الله ولن تجد لها تبديلا ولا فارقة!

الصمم يا قريقش[1] يا فريقش[2]!

2) وألقيتم بنظرة إلى إفريقيا وتراءى لكم قلب القارة من وراء الكثبان، وتذكرتم -إن نفعت الذكرى!- ما يفعله بها الثعبان، وقلتم: آن لنا أن نميز من رمضان شعبان، وألا ننصرف كالمترنح التعبان، ورددتم: كفى ما يجرى لافريقش من طلاح، وناديتم أن حى على الفلاح، وأن حان القيام لأهل الصلاح!

إنكِ عمدة المجتمع والأسرة، فإياكِ أن تلقى بهما فى الحفرة!

3) وفى نقطة المرأة رجعتم إلى آدم وحمورابى، وكان فيكم المتراجع والمرابى، ووجدت المرأة فى صنوها الخصم بينكم العادلَ المنصف، كما لم تعدم المزايدَ المجحف.

وقد امتد حواركن من لالا نوره إلى بنورة، ومن وَرَجلانَ إلى العاطف وغارداية، وقلنا لكن: كن ان شئتن الوزيرةَ والرئيسةَ والداية، واعترف لكن الجميع بالحقوق وغير الحقوق، شريطة تحاشى الفوضى والعقوق، وألا تهززن المجتمع بصدع وشقوق!

وقلنا: فلتكونى فى كل ميدان بانية صانية، وإياكِ وتخريب الميورقى بن غانية، أو تنسى أن كل سيطرة فانية، وأن الموت منك دوما دانية، فاحذرى كل غلطة ثانية، وإلا كنت على نفسك جانية!

---

1) اقريقش شخصية فكاهية فى المسرح الجزائرى الحديث ترمز للغفلة، والسذاجة، واللامبالاة.
2) افريقش اسم الإفريقى الأول حسب ابن خلدون، وفى هذا السياق يرمز للقارة كلها.

لا تقصصن للرجل شنبا، لتنسجن منه قربا، أو تفتلن منه ذنبا، ولا تجعلن من كرامته كنبا، أو تحسبنها عنبا!

إياك أن تقولي له إن سأل: «إنى مستقلة حرة»، أكانت هذه الكلمة فى أذنه حلوة أو مرة، لانك فى عينيه قرة، وفى قلبه جوهرة ودرة، وإلا كان مصيركما معا فى قاع الجرة!

والرجل لا ينسى أنكن الفصول والغايات، والأعلام والرايات، وأنكن شرط الحياة إذ عمدة المجتمع والأسرة، فإياكن أن تلقين بهما فى الحفرة، وكن إن شئتن الماهرات الساحرات، ولكن لا الساهرات الناحرات، وكن الهازئات الساخرات، لا الماكرات الناخرات، وإلا أصبحتن أنتن البائرات الخاسرات!

بطون الأرض نعمة مصيبة، إذا لم نحولها نحن إلى مصيبة!

4) وتساءلتم: هل بطون الأرض نعمة أم نقمة؟ واجبتم بنعم إذ هى منحة لا محنة، وان ذلك واضح بالبداهة لا بسر مهنة، وأن رحمة الله كانت لنا مجيبة، وإرادته لنا فى هذا وذاك طبعا مصيبة، إذا لم نحولها نحن إلى مصيبة، إذ هى لنا من الله باقة، تنعش وتزيل الفاقة، تكمل ولا تعوض الناقة، وإن لم نعرف ذلك حقت علينا الحاقة، وتلتها الأشغال الشاقة، وقلتم فى الأخير إن كنوز الأرض للشعب المالك، وأن هذا وحده

خير المسالك، وتبا لمن لا يميز بين الضوء والحالك!

وقلتم أخيرا إنها إن لم تكن بأيدي الدولة وللشعب كانت للأمة ضربة وطعنة، وعليها من الله غضبة ولعنة، وأنه إلى جانب كل نفط، أو فوسفاط، أو زفت، ينبغي ألا تنسى الزراعة من قمح ولفت، ولا التجارة والصناعة، والقيم الإصيلة أصل المناعة!

إني أشكر كل من في هذا الملتقى حاضرا أو عقب، وفي سبيل ذلك بحث أو نقب، وإن سمح لي البعض ما بدر مني عن خلقة منحدة، وما استعنت به قصدا في الحرص على الملتقى من صرامة وشدة، نسيت ما جنحوا إليه عن النظام من خروج وردة، وتجاوز ما حد لهم عند المنصة من دقائق عدة، وأنسى ما مالوا إليه من مكرر معاد ضد كل ابتكار وجدة، وإن لم تصفحوا لم أنس والله بيننا فيما أتى كل منا من فعلة إدة، مشابهة للخطأ الكبير ندة.

واصفحوا بعضكم للآخر تبادل الإتهام بفقر المادة، بل والخروج عن الجادة، وأن محاضراتهم عن الطريق الصحيح حائدة صادة، لأن معلوماتها من مصادر أجنبية مستمدة، ولو كانت بعض بضاعتنا المستردة.

إننا إذ نشكر إذن جميع السيدات والسادة، الذين رموا إلى الإجادة، نشمل طبعا من حلموا في القاعة بالوسادة، أو عزفوا عن تتبع النظام وحسن العادة، ونسوا أنهم للشباب القدوة العمادة.

ونثني بالشكر على كل الولاية ودائرة غارداية على حسن الإستقبال والوفادة، وعلى الجميع هنا من مقودين وقادة.

وداعا التوقرت ولحاسي، وَوَرَجْلاَنَ جميلة الأماسي، وإلى اللقاء في أحد معاقل مقاومتنا قبل الفتح وبعده، الذي وجد فيه فاتح نفامبر منذ البدء مهده، إلى سفح الشلية والشلعلع، ولو كان هذا أوذاك أجرد أصلع، إلى مراتع تنتشي بالحرب عند الضرورة، حينما ينادي المصير والصيرورة، إلى جبال تحب دَوِيَّ البارود كأنغام الأجراس، وتحتفل بالإستشهاد كالأعراس، إلى باتنة الأوراس.

والسلام عليكم ورحمة الله